دراسات في

منهجية البحث التاريخي

تأليف

د. ميمونة ميرغني حمزة

مراجعة وتدقيق

د. إحمود حرب اللصاصمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطَّبعَة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2239 /6/ 2010)

001.432

حمزة، ميمونة ميرغني

منهجية البحث التاريخي /ميمونة ميرغني حمزة

عمان: دار الخليج، 2010

ر.أ.: (2239 / 6/ 2010)

الواصفات: /الأبحاث التاريخية/ /أساليب البحث

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

- يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية او اي جهة حكومية أخرى.

تلفاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٩

ص.ب: ١٨٤٠٣٤ عمان ١١١١٨ الأردن

e-mail: daralkhalij@hotmail.com

المحتويات

مُقَدِّمَة

تعتبر الكتابة التاريخية الموضوعية من أصعب فروع المعرفة وأدقها. لأنها دراسة للتطور البشري في جميع جوانب حياته: السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفكرية، والروحية، أيا كانت معالم هذا التطور واتجاهاته، كما كان لا كما نريد، ومحاولة إحيائه بالطريقة التي وقعت فيها الأحداث، وصولا إلى الحقيقة التاريخية العلمية التي يعتمد عليها في فهم الواقع، ومعالجة القضايا المعاصرة، والتخطيط للمستقبل برؤى حصيفة، وتطلعات أكيدة، مترسمة أصول البحث التاريخي بكل طرائقه ومكوانته، في إطار من الصفات، والفضائل، والشمائل، التي يجب أن يتحلى بها المؤرخ الفذ، المؤتمن على إظهار الحقيقة التاريخيةبكل تجلياتها، دون مجاملة، أو موارية، أو مطاوعة هوى، أو إرضاءذوات. وللوصول إلى هذا المبتغى، كان لزاما أن تتم دراسة منهجية البحث التاريخي العلمي، وتناولها من قبل الباحثين، والؤرخين بكل جوانبها، ومحاورها ،لتحصين الصناعة التاريخية من أية مثلبة أو شائبة.

آملين أن يجد القارئ في هذه الدراسة الجديد النافع.

والله من وراء القصد

المؤلفة

الفصل الأول

المعنى والأهداف

الفصل الأول
المعنى والأهداف

تستخدم كلمات تأريخ وتاريخ وتوريخ بشكل متطابق في المعنى تقريباً ويعتقد أن الاختلاف الإملائي يعود إلى اللهجات العربية ، فقد استخدمت قبيلة بني تميم كلمة توريخ بينما ظهرت كلمة تأريخ في لهجة قيس[1] وقد انكب بعض المؤرخين لبحث أصل الكلمة في اللغة العربية إذ لم يرد لها إشارة في القرآن الكريم أو السنة النبوية وقد خلت منها مؤلفات الأدب الجاهلي أيضاً.

لقد أرجع المستشرق جب فري أصل الكلمة إلى لفظ(ارخو) التي تعني في الأكادية"القمر" أو يرخ في العبرية بينما يذكر الحافظ جلال الدين السيوطي أنها مشتقة من التعبير الفارسي"ماه روز"[2] (التي تعني حساب الشهور والسنوات وقد حرفت لتصبح"مورخ" ومصدرها تاريخ[3]. غير أن الاعتقاد الراجح الآن أن كلمة تاريخ هي عربية يعود أصلها إلى لهجات قبائل جنوب الجزيرة العربية حيث نمت مراكز حضارية وثقافية وفرت المناخ للإلتفات إلى قضايا عقلية متنوعة ، وهو غير ما كان عليه وضع الشمال قبل ظهور الإسلام[4].

---

(١) محمد بيومي مهران والتأريخ، دراسة في ماهية التاريخ وكتابته ومذاهب تفسيره ومناهج البحث فيه، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٢، ص٤.

(٢) ماه الفارسية: القمر وروز اليوم، استبعد روزنثال الأصل العبري والأكادي.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٦، ص١٨.

(٤) حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، دار المعارف، القاهرة، ط٤ ١٩٧٦، ص١٢.

أما التاريخ كمصطلح فهو يطلق على عدة مفاهيم، أولها توقيت الأحداث وهو الاستخدام الذي بدأ به، وعرف المسلمون به أوقات الحج والصوم كما جاء في القرآن الكريم ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وقد كان تعريف الوقت يتم بإسناده إلى حادثة مهمة مثل الطوفان أو الزلزال، كأن نقول إن ميلاد شخص ما حدث قبل الطوفان مثلاً. ثم اتسع مجال التاريخ ليشمل الأحداث نفسها ويقدم صورة عن كل النشاط البشري منذ بداية الخليقة وكما عرفه ابن خلدون "هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل. أما السخاوي فالتاريخ عنده "يشمل مولد الرواة والأئمة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج. . " ويصفه السيوطي أنه معني بمعرفة "أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم.

وقد يتساءل المرء عن كنة الأحداث التي يسجلها المؤرخ لتصبح جزءاً من التاريخ إذ قد لا يتسنى له أحياناً توقيت هذه الأحداث فيقوم بتقديم وصف لها بمعنى أنها تصبح دراسة حضارية لحقبة تاريخية أو مرحلة ما، لهذا اتسع مجال أو موضوع التاريخ ليضم كل أوجه النشاط البشري من اقتصاد واجتماع وفكر وفن وأدب، فالإنسان الذي ميَّزه الله سبحانه وتعالى بالعقل لايركن إلى الجمود بل إلى التغيير والإبداع بشكل مستمر، ويرى هرنشو أنه لايمكن أن نستخدم كلمة التاريخ بشكل مطلق بل يجب أن نقرنها بصفة ما، كأن نقول التاريخ السياسي أو الكنسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي بمعنى أن موضوع التاريخ هو كافة أنواع النشاط البشري فهو "الإنسان والزمان"[1].

---

(١) هرنشو، ف. ج، علم التاريخ تعليق وتعريب عبد الحميد العبادي، القاهرة ١٩٤٤ ص٩.

ثم خطت الدراسة التاريخية خطوة أخرى لتشمل تفسير الأحداث التاريخية والعوامل التي أثرت فيها. ثم ما هي الجدوى من دراسة أحداث الماضي ووقائعه إذا كان هذا الماضي قد انتهى منذ أزمان سحيقة ، ولعل كثير من المؤرخين والفلاسفة قد أفاض في فوائد دراسة التاريخ ، على رأسهم الحكيم الصيني "كونفشيوس" (القرن السادس ق. م) الذي ذكر أن معرفة الماضي تؤدي إلى تطوير الإنسان لنفسه وفهمه لقدراته وإحساسه بكيانه وانتمائه[١] ، تفسر عملية إدراكه في الإلمام بأحداث الماضي وبأنها رغبة غريزية في الإنسان لإشباع فضوله العقلي وقد استغل العاملون بأجهزة الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة هذه الرغبة فقدموا مواداً يلتقفها الناس دون التدقيق في محتواها. إذاً فالتاريخ ليس مجرد ذكرى لا جدوى منها بل وسيلة لإشباع هذه الرغبة وبدلاً من حشو ذهن الناس بمعلومات مغلوطة وأساطير وخرافات فإن التاريخ يقدم دراسة منظمة بعد التحقق من صحة وقائعها وإثباتها بقدر الامكان ، نحن لا ندرس أحداث التاريخ لكي نصل إلى قوانين إذ أن الوقائع التاريخية لايمكن أن تتكرر(التاريخ لايعيد نفسه) ولهذا فإن معرفتنا بها من اجل أخذ العظة والعبرة وليس من اتخاذها مثلاً واستنباط كل الذي طبق في زمن ما ، إذا تخيّلنا أن الإنسان الذي يريد أن يدرس ظاهرة ما أو مشكلة وهو لايعرف جذورها وكيف نمت وتطورت فلابد من أنه سوف يبدأ من الصفر بمعنى أن كل جيل سوف يكرر ما قام به الجيل السابق دون أن يصل إلى نتيجة فحياة الإنسان

---

(١) محمد بيومي مهران، المرجع السابق ص١٠.

قصيرة مهما امتد العمر. إذاً فنحن ندرس ما قام به من سبقونا لنواصل من حيث انتهوا وقد قدر الآن أن ١٠٪ من أي بحث في مجال العلوم الأدبية أو التطبيقية أو الهندسية أو غيرها لابد أن تكون دراسة تاريخية، ونلاحظ هذا في حياتنا اليومية، فالطبيب يبدأ علاج مريضه بمعرفة تاريخ المرض[١]، إذا واجهت السياسي مشكلة وأراد حل لها فهو يتابع جذورها والأسباب التي أدت إليها حتى ينجح في إيجاد الحل الأمثل، والاقتصادي الذي يريد أن يضع سياسة اقتصادية لابد أن يتعرف على كيفية تعامل الأنظمة السابقة مع قدرات وإمكانيات دولته وكيف استغلتها وماذا حققت في هذا المجال، هكذا يصبح الماضي جزء من الحاضر.

إن دراسة التاريخ تؤدي إلى توسيع مدارك الطالب وإلمامه بكل ماهو عظيم في تاريخ أمته وتنبه خياله وتساعده في تصور كامل للعالم حوله بشكل لايمكن أن يجده في أية دراسة أخرى. ثم أن دراسة التاريخ تؤدي إلى ترسيخ مفاهيم معينة لتصبح جزءاً من التربية الوطنية للدولة وهذا يفسر لنا كيف يسعى الحكام لإحداث تغييرات في مناهج التاريخ في المدارس والجامعات ليقينهم بتأثيرها في النشأ، ولدينا عدة شواهد من التاريخ لحكام حذفوا وبدلوا في مناهج التاريخ ابتداء من الثورة الفرنسية، ثم الدول الاستعمارية في المناطق التي احتلتها والنازية والفاشية. فقد ورد في تقرير وضعه مجلس مقاطعة لندن أن مدرس التاريخ في فرنسا كان يركز على إبراز محاسن الحكم الجمهوري

---

(١) هرنشو، المرجع السابق، ص١٢.

ودمغ الملكية بكل ماهو سيء ، وفي بروسيا يدرس التاريخ للإشادة بحكم الهوهنزلرن وينبه لأخطار الاشتراكية ، لقد تراجع الآن هذا المسلك بسبب النتيجة التي تمخضت عن مثل هذه السياسات إذ تبين أن فرض قيم معينة على الطلاب يؤدي إلى نتائج عكسية فكف السياسيون عن اتخاذ التاريخ وسيلة دعائية لاتجاه سياسي معين ، لكن في الواقع لايمكن فصل التاريخ عن السياسة ، لقد قال سيل "أن التاريخ هو مدرسة السياسة"(١) ويقال أن التاريخ هو وسيلة لكبح أولئك الذين يعتمدون على عقولهم فقط وقد يشتطون في استخدام العقل إلى درجة تفقدهم الاتزان المطلوب ، فدراسة التاريخ تعيد لهم هذا الاتزان بتقديم القوة الأخلاقية.

التاريخ يعلّم الفرد كيف يصبح عضواً نافعاً في المجتمع وله دور وواجب يجب أن يؤديه مهما صغر هذا الدور مما ينمي إحساس الإنسان بذاته وجلوى وجوده ، وبالتالي غرس القيم الفاضلة فيه ، قال ولنجبروك "لقد بان لي أن دراسة التاريخ دون سواها أصلح الدراسات لتعويد الإنسان الفضائل الخاصة والعامة" (٢).

ومثلما استخدم السياسيون التاريخ لشحذ هممم الجنود ودفعهم لتحقيق انتصارات كبرى : انظر لخطب نابليون وهو يقود الجيوش الفرنسية من انتصار إلى آخر في أوروبا ، ثم وهو يخاطب جنوده أثناء حملته على مصر وكيف ستؤدي انتصاراتهم على اعرق المدنيات وحضارات الشرق إلى رفعة مكانة فرنسا(٣).

---

(١) سيد الناصري ، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ص١٦.

(٢) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص١.

(٣) السيد الناصري ، المرجع السابق ، ص١٩.

دراسة التاريخ تساعد الأمة في رسم سياساتها الحاضرة والمستقبلية عن طريق التعرف على كل ما يعترضها من عقبات تقف أمام قوتها ومنعتها والقضاء على الأمور الخلافية ، فهي تساعد على فهم العناصر المشتركة لتكوين الأمة محلياً وإقليمياً ، والتخلف والانهيار لانجد لهما سبباً بعيداً عن التاريخ ، فابن خلدون عكف على دراسة التاريخ عندما هالته حالة التشرذم والتفكك التي سقط فيها العالم الإسلامي[1].

(١) قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ١٩٧٩ ، ص٥٧ . .

الفصل الثاني
الكتابة التاريخية في العصور التاريخية

الفصل الثاني
الكتابة التاريخية في العصور القديمة

أول محاولات التدوين التاريخي هي التي قام بها الكاهن المصري مانثون Manthon في القرن الثالث ق. م الذي عاش في عصر بطليموس الأول والثاني وهو من بلدة كانت تسمى سبنيوس وقد اهتم بكتابة تاريخ قدماء المصريين معتمداً على المصادر المصرية القديمة مستخدماً نظام الحوليات في ترتيب الوقائع والأحداث، فقد هذا الكتاب ولم تبق منه إلا مقتطفات يسيرة(١).

متزامناً مع هذا قام كاهن آخر من بابل يسمى برسوس Berssusبكتابة تاريخ بابل باليونانية مستنداً على مصادر بابلية، وأيضاً فقد هذا الكتاب إلا ما جاء مضمناً في مؤلفات أخرى(٢).

سبق ظهور هذين الكتابين تدوين سفري العبرانيين وهما سفر الملوك الأول والثاني حوالي ٥٧٥ ق. م والتي جاءت في أعقاب ظهور أجزاء من العهد القديم ٩٠٠ ق. م والتي تضم أسفار موسى الخمسة وأسفار يشوع وصمويل ولهذا اعتبرت أقدم الكتب التاريخية، لم تكن هذه تهتم بالتدوين وصحة

---

(١) هرنشو، المرجع السابق، ص١٦.

(٢) بالرغم من أن هرنشو يعتبرها أقدم كتب تاريخية لكن هذه الأسفار خضعت للنقد بعد أن تشكك المؤرخون فيها لغوياً وتاريخيا وخلصوا إلى إنها ليست الأسفار التي نزلت على سيدنا موسى في القرن العاشر قبل الميلاد بل كتبت في وقت متأخر بواسطة كهنة ربما في القرن الخامس قبل الميلاد.

المصادر بل كان جل هم الكتاب تقديم النصائح للناس والدعوة للتحلي بمكارم الأخلاق[1].

أقدم المؤلفات الأدبية التاريخية التي عرفها الإغريق تتمثل في ملحمتي الإلياذة والأوديسا التي تنسب إلى هوميروس، وقد ظهرت ما بين القرن التاسع والثامن ق. م وبالرغم من أنها كتبت شعراً لكنها احتوت على مادة تاريخية ثرة اعتبرها البعض مصدراً لتاريخ حقبة لا توجد معلومات عنها[2].

جاء تعرف الإغريق على حضارات البحر الأبيض المتوسط ليحدث انقلاباً في تفكيرهم وحافزاً لهم في التأمل في العالم حولهم فاخذوا ينظرون إلى الأمور بقدر كبير من العقلانية بعيداً عن نظرة الأسطورة والخرافة التي استبدت بتفكيرهم سابقاً، ولقد تنبأ فلاسفتهم: مثل تاليس الملطي Thales of Miletus بكسوف الشمس عام ٥٨٥ ق. م فتحقق هذا مما جعل التفكير العقلاني يترسخ بشكل أفضل. كان تاليس قد زار مصر وتتلمذ على الكهنة، خاصة في علم الهندسة فقدم عدة ابتكارات هندسية، وقد أدت الرغبة في الاستقصاء والبحث إلى ظهور علم خاص أطلق عليه الإغريق "السثوريا" أي التاريخ بدأ علماؤهم يجوبون الآفاق ويدرسون المدنيات القديمة ويتعرفون على شعوب شرق أوروبا. أول من برز من بين هؤلاء هيكتوس Hecataeus الذي ولد في حوالي ٥٤٦ ق. م في الملطية، وهو مؤرخ ورحاله كتب عن اصل الشعب

(١) مصطفى العبادي، محاضرات في مناهج الفكر التاريخي، مكتبة كريريه إخوان، بيروت، ١٩٨٣، ص٢٥.

(٢) نقولا زيادة، التاريخ ضروبه وأبعاده وفلسفته. جامعة اليرموك، ١٩٩٣، ص٢٣

الإغريقي وتنقلاته وتمتع بعقلية علمية ، وان اكتشف المؤرخون لاحقاً أخطاء عديدة في كتاباته ولكنه سعى لإبراز الحقيقة حسب ماتوفرت له في زمنه ، وقد كتب يقول" أنني أدون فقط ما أرى أنه حقيقة لأن الأشياء التي يرويها الشعراء هي في رأيي مليئة بالتناقضات وهي حرية بان تكون موضع سخرية"(١) ، ضع كتاباً جغرافياً عن آسيا سماه "رحلة حول الأرض" وكتاب آخر عن أنساب الأسر وأخبارها وهو أول من كتب التاريخ نثراً.

ثم جاء بعده هيرودوت(٤٨٤ق.م- ٤٢٤ ق.م) ولد في بلدة هليكارنس(٢) Hailcanassus ، ويلقب بأبي التاريخ ، تمتع بثقافة واسعة ، وكان شغوفاً بالعلم والمعرفة مما دفعه إلى السفر والتجوال فزار مدن آسيا الصغرى وسوسة ، عاصمة الفرس ، والشام ومصر. درس أحوال هذه المناطق وتعرف على آثارها وجمع معلومات كثيرة عنها ، سعى للتحقق أيضاً من صحتها ، بعد (١٧) عام من السفر وضع كتابه في التاريخ ضمنه مقدمة عن أحوال تلك البلدان قبل أن يتناول موضوع الحرب بين الإغريق والفرس ، والذي اعتبره صراعاً بين آسيا وأوروبا أو بين الغرب والشرق ، طبع هذا الكتاب في ٤٥٠م باللغة اليونانية واللاتينية ثم ترجم إلى عدة لغات أوروبية ، تعرض لأهم معارك هذا النزاع : سلميس ، بلاتي وميكالي ، واعتبره نزاعاً بين مدينتين متعارضتين لكل منهما طريقة مختلفة في الحياة ، ولهذا فهو نزاع حياة أو موت(٣) ، لقد نجح هيرودت في

---

(١) مصطفى العبادي ، المرجع السابق ، ص٣.

(٢) هليكارنس مستعمرة يونانية في الساحل الغربي لآسيا الصغرى.

(٣) تاريخ ميلاد ووفاة ثيوسيد غير معروف بشكل دقيق حدد البعض ٤٦٠- ٣٩٥ ق. م وآخرون ٤٥٤- ٤٠٠ق.م.

تصوير جوانب من هذا الصراع بصورة لم يسبقه لها أحد فجاءت عظيمة القيمة والفائدة تلتزم النزعة العلمية والأسلوب الرصين[١].

أما ثالث مؤرخي الإغريق فهو ثيوسيديد Thucydides (٤٧١-٤٠١ ق. م) الذي اعتقد أن الإنسان هو الذي يصنع التاريخ ولقد اختار الكتابة في موضوع الحرب البليونيزية(إشارة إلى شبه جزيرة اليلبونيز eloponnesus والتي نشبت بين المدينتين المتنافستين أثينا وسبارطه، وقد شارك فيها بنفسه كقائد لإحدى الفرق التابعة لأثينا، لقد حرص ثيوسيديد على التدقيق والتحقق من الوقائع، ونأى بالتاريخ عن الأسلوب الأدبي الذي كان سائداً، ووجه عنايته لإبراز الحقيقة دون أن يتأثر هذا بالأسلوب الجديد. اهتم أيضاً بنصوص الوثائق التي رجع إليها، فحافظ عليها كما هي متميزاً بهذا عمن سبقوه، الذين أعادوا كتابة الوثائق لتنسجم مع رواياتهم للتاريخ. كان يسعى لنقد المعلومات ويوازن بينها إضافة إلى حياده ونزاهته، وقد ساعدته أسفاره في تلك الجهات في التحقق من المعلومات، ولقد أوضح أسلوب جمعه للمادة خاصة بالنسبة للحرب، فكان يدون ما يعرفه شخصياً أو ما تحقق من صدقه إذ أن المعلومات المتوفرة عنها كانت متناقضة متضاربة بسبب رغبات بعض الأشخاص الذين عاصروها أو ضعف ذاكرتهم[٢].

---

(١) إبراهيم علي طرخان، مدخل إلى علم التاريخ، الرياض، ص٥٩.

(٢) هرنشو، المرجع السابق، ص١٩، طرخان، المرجع السابق، ص٦١.

ولقد أخذ على ثيوسيديد أنه كتب التاريخ بغرض "خطابي" فجمع عدد كبير من الخطب التي قيلت عن الحرب حتى شكلت ربع مادة الكتاب، ولقد قسم الكتاب إلى ثمانية أجزاء كل جزء خصصه لمراحل من الحرب، وقد أثار حماساً وإعجاباً منقطع النظير بين المعاصرين. كما أنه ركز على جانب الحرب والسياسة متجاهلاً أنواع النشاط الأخرى من ثقافة واقتصاد مما أدى إلى حصر نطاق الكتابة التاريخية، كان اعتقاده أن فائدة التاريخ تكمن في رسم طريق المستقبل، إذ اعتقد بإمكانية تكرار الأحداث التاريخية فكتب يقول: " العلم الدقيق بحوادث الماضي قد يفيد لأن المحتمل أن يحدث في المستقبل شيء من قبيل ما حدث في الماضي"(١) ولقد اعتبر عجز ثيوسيديد في النفاذ إلى أسرار الحوادث من أوجه قصور كتاباته؛ لأنه فشل في تعليل الوقائع وحاول أن يلجأ إلى فك أسرار الأحداث بالتركيز على دور القادة.

ظهر أيضاً كسنوفون **Xenophon** كأحد مؤرخي الإغريق (ت٣٥٥ ق.م) وهو تلميذ سقراط وكان مؤرخاً وفيلسوفاً وفارساً اشترك في حرب أهلية في فارس ثم دخل في خلمة سبارطة مما أدى إلى إسقاط صفة المواطنة عنه حتى الصلح، فحصل على العفو من أثينا. أشهر كتبه التاريخية ما اسماه " حملة إلى الداخل" عن الحرب الأهلية التي اشترك فيها، وقد أصدره ما بين ٣٧٩- ٣٧١ ق.م وإن كان قد استخدم اسماً مستعاراً لكن المؤرخين الذين جاءوا بعده أثبتوا نسبه إليه(٢).

---

(١) هرنشو المرجع السابق، ص١٩.

(٢) نقولا زيادة، المرجع السابق، ص١٩.

إضافة إلى عدة كتب أخرى في التاريخ والتربية والتعليم والاجتماع. أهم ما أضعف منهجه هو تحيزه لإسبارطة وتغلب ميوله السياسية على كتاباته التاريخية.

أما بوليبوس Polybius فهو مؤرخ يوناني (٢٠٤- ١٢٢ ق.م) لكنه عاش في روما وكتب في تاريخ الجمهورية الرومانية، اشترك في الحرب إلى جانب روما ضد مقدونيا وصاحب الجيش الروماني الذي دحر قرطاجنة عام ١٤٦ ق.م ألف كتاباً في تاريخ الجمهورية الرومانية، ذكر فيه الفتوحات الرومانية وحلل النظام السياسي فيها، وقد بقي القسم الأول من هذا الكتاب وملخص من القسم الثاني[1].

تميزت سمات منهجه في الكتابة بالنزعة العلمية والبعد عن الأسلوب الخطابي وتحاشي الأسلوب الأدبي وان اعتقد مثل ثيوسيديد بإمكانية تكرار الحوادث التاريخية. التزم الأمانة العلمية والتحقق من الوقائع المجردة، من أقواله: " يجب أن ننزه التاريخ عن الأغراض التي تشوه الحقائق كحب الإنسان لصديقه وبغضه لعدوه فلا ينبغي أن يحجم المؤرخ عن مدح أعدائه وذم أصدقائه إذا استحقوا ذلك" كذلك رأى " أن التاريخ تعليم للفلسفة بضرب الأمثال " وأن الإنسان يمكن إذا درس التاريخ أن يتعلم أخطاء غيره كثيراً عندما يدرك التصرفات والسلوكيات التي أدت إلى هذه الأخطاء وهذا أفضل من أن يتعلم من الأخطاء الشخصية التي قد تكون قاتلة ولا يستطيع بالتالي الاستفادة منها. كما تميزت كتاباته بخاصية أخرى متمثلة في ربطه التاريخ المحلي بالعالمي؛ إذ أن

(١) نقولا زيادة، المرجع السلبق، ص٢٧.

التاريخ في نظره وحدة تتصارع في داخلها مصالح الأمم فلا يمكن أن نفصل أحداث إفريقية وإيطاليا عن آسيا واليونان ولهذا تطرق كتابه عن روما لأحداث العالم والدول المعاصرة لها [١].

اشتملت مصادره على الوثائق والآثار والمشاهدات في الأماكن التي زارها وما تعرض له من خبرة شخصية. شملت رحلاته افريقية وأسبانيا والغال، لقد وصف جغرافية هذه الأماكن وشعوبها وذكر أنه سار في الطريق الذي سلكه هانيبال[٢] (ت١٨٣ ق. م). أشار إلى بعض الوثائق التي عثر عليها واستخدمها في كتاباته منها وثيقة دونها هانيبال نفسه، كشف فيها عن عدد جنوده، إضافة إلى نص المعاهدة التي تم التوصل إليها بعد الحرب الفينيقية. بلغ مجموع ما كتبه بوليبوس(٤٠كتاب)، لم يبق إلا خمسة منها، ولقد طبعت هذه الكتب عدة طبعات ابتداء من ١٥٤٩ م في سويسرا، يمثل بوليبوس نهاية الكتابة التاريخية عند الإغريق بالأسلوب العلمي إذ بعده تجددت النزعة الأدبية حتى طغى الأسلوب الأدبي على الحقائق التاريخية[٣].

ظل تاريخ روما يكتب باليونانية بواسطة مؤرخي الإغريق إلى أن نشر أحد خطباء روما، كاتو Cato، كتابه "الأصول" حوالي (١٦٠ ق.م) [٤]، ظل التاريخ

---

(١) طرخان، المرجع السابق، ص٦٤.

(٢) هانيبال ابن ملك قرطاجنة التي دمرها الرومان فأراد أن ينتقم منهم ويصل إلى روما

(٣) المرجع السابق، ص٦٥.

(٤) هرنشو، المرجع السابق، ص٢١.

الروماني متأثراً بالأسلوب الأدبي الذي اتسمت به كتابات الإغريق فلم يتمكنوا من إضافة مأثرة لكتابة التاريخ ، فكان إن اهتم مؤرخو الرومان بجمال العبارة والأسلوب دون أن يولوا الحقائق التاريخية العناية الكافية مما أدى إلى أن بعض الكتابات التاريخية حفلت بالأخطاء الناجمة عن تشويه الحقائق ، لقد تميز مؤرخو الرومان أيضاً باستخدام نظام الحوليات في الكتابة وظل هذا الأسلوب سائد حتى القرن الأول الميلادي عندما بدأوا يستخدمون الأسلوب الموضوعي ، أي الكتابة حسب الموضوعات حتى القرن الخامس عندما زالت الإمبراطورية الرومانية في الغرب. اعتقد مؤرخو الرومان بفكرة الإغريق أن الإنسان هو الذي يصنع التاريخ فجاءت كتبهم حافلة بما يقوم به البشر من حروب وثورات ومؤامرات(١).

أول كتاب كتب باللغة اللاتينية هو المؤلف الذي وضعه يوليوس قيصر ، وكان بعنوان "الحرب الغالية أو الغولية" **The Gallic War** إشارة إلى منطقة فرنسا الحالية **Gaul** وجاء هذا الكتاب ليكشف شخصية مؤلفه الذي كان سياسياً بارعاً وخطيباً وعسكرياً ، إلا انه لم يكن يكتب سيرته الذاتية فحسب بل وصف لسياسته ونشاطه العسكري الذي أثمر عن ضم بلاد الغال للإمبراطورية ، ومن ثم انتشار الحضارة الرومانية حتى المحيط الأطلسي ، ضع يوليوس قيصر كتاباً آخر سماه" تعليقات على الحرب الأهلية" **Commentaries on the Civil War** نشر بعد وفاته وتناول فيه الحرب التي نشبت بينه وبين بومبي ومجلس السناتو(٢) . أهم ما

---

(١) قاسم عبده قاسم ، الرؤية الحضارية للتاريخ قراءة في التراث التاريخي العربي ، دار المعارف ، القاهرة ، ص٥٤.

(٢) طرخان ، المرجع السابق ، ص٦٧.

يميز كتابات يوليوس قيصر أسلوبه الرفيع والبعد عن المبالغة في سرد الأحداث والوضوح والصراحة في عرضه للوقائع.

أعقب يوليوس قيصر المؤرخ الروماني سالوست Sallust (٨٦- ٤٣ ق.م) كان صديقاً لقيصر وتقلد عدة مناصب في القضاء والإدارة واشترك في بعض الحملات. لقد وضع عدة مؤلفات تناول فيها أحداث عصره، الذي اتسم بالاضطراب، ولكن أغلب هذه المؤلفات فقدت وما تبقى منها عبارة عن رسالتين: الأولى هي "مؤامرة كاتلين" تحدثت عن مؤامرة أدارها أحد النبلاء من أسرة رومانية- كاتلين- من أجل القضاء على حكومة روما لأغراض شخصية فكتبها بأسلوب صحافي متميز[1]. أما الرسالة الثانية: هي"الحرب اليوجرثية" Jugurthire (١١١- ١٠٦ ق.م) وهي حرب وقعت بين روما ويوجرثا ملك مقاطعة نوميدية بالجزء الغربي من شمال إفريقيا، ركز في وصفه على الجانب الأخلاقي وكيف سعى يوجرثا إلى كسب الحرب عن طريق رشوة القادة الرومان، ولكنه فشل وسقط في الأسر حيث لقي حتفه. فيمكننا حسب رأيه أن نستفيد من التاريخ في هذه الجوانب الأخلاقية، فقبول الرشوة والغدر والدسائس هي التي أسرعت بروما نحو الهاوية، اهتم سالوست بالضبط والتدقيق في الوقائع وإن أهمل التحديد الدقيق لزمنها[2] .

---

(١) كان تأثير سالوست كبيراً على مؤرخي العصور الوسطى خاصة أن كتابيه ركزا على تأثير البيئة والجغرافيا على أحداث الحرب في شمال إفريقيا وتأثير البيئة على العادات والتقاليد للشعوب.

(٢) نقولا زيادة، المرجع السابق، ص٢٨.

أتي بعده تيتوس TitusLivius(٥٩ - ١٧ق.م)، اعتبر حلقة وصل بين الجمهورية والإمبراطورية والوثنية والمسيحية إذ عاش في عهد الإمبراطور أغسطس مؤسس الإمبراطورية، كان أكثر تفاؤلا من سالوست، كتب عن تاريخ روما وناشد أبناءها بالتفاخر بإنجازاتها وان يحتفظوا بقوتها وحدودها.

وضع مؤلفاً سماه "تاريخ روما" يتكون من١٤٢ كتاب، ولكن معظمها فقد. هدف منه إلى تسجيل إنجازات روما في الماضي حتى تتخذها الأجيال القادمة مثالا وقدوة إذ كان يرى في الماضي دوراً كبيراً في تخطيط المستقبل. لوحظ عدم اهتمامه بالضبط والتدقيق فأورد تفاصيل كثيرة لا قيمة لها وأحياناً يفسر بعض الظواهر حسب أهوائه الشخصية[1].

أما تاست Tacitus آخر كبار مؤرخي الرومان (٥٥- ١١٧) فقد تفوق على الجميع من حيث الأسلوب والعرض التاريخي. كان زوجاً لابنه اجريكولا Agricola وهو القائد الروماني الذي فتح شمال بريطانيا، فتعرف على أسرار البلاط وما يمارس داخل الدوائر العليا من مفاسد وانحلال وتهتك فجاءت حولياته وصفاً دقيقاً لهذه الحالة فاعتبره البعض أخلاقياً أكثر منه مؤرخاً، لقد عاصر ظهور المسيحية ولكنه لم يعرها اهتماماً خاصة أنه رآها تنتشر بين الأرقاء والغرباء[2].

---

(١) طرخان، المرجع السابق، ص٦٨.

(٢) هرنشو، المرجع السابق، ص٢٤.

الفصل الثالث

الكتابة التاريخية في العصور الوسطى

الفصل الثالث

الكتابة التاريخية في العصور الوسطى

بدأ العالم الروماني في التفكك ابتداءاً من القرن الثالث الميلادي ، ووضحت ملامح الانهيار في قلة الثروة والموارد والعجز عن حماية الحدود الممتدة لأكثر من ثلاثة آلاف ميل ، ولم تعد الإمبراطورية قادرة على السيطرة على مقاطعاتها في غياب قادة أقوياء مثل يوليوس قيصر أو أغسطس ، فانهارت التجارة والزراعة وركن أبناء الأسر الرومانية لحياة الترف والدعة وتركوا وظائف الدولة الحيوية في الخدمة العامة والجيش ليشغلها سكان المناطق الحدودية الذين افتقروا التأهيل اللازم ، والذين لم يندمجوا أصلاً في المجتمع الروماني ، وعندما بدأت القبائل التيوتونية والسلافية تضغط على حدود الدولة الرومانية فشلت الحاميات في مناطق كثيرة من صدها ، فبدأت تتوغل إلى قلب المقاطعات في غرب أوروبا مثل غاليا ، وعبرت بعضها نهر الدانوب إلى تراقيا وساحل اليريا حتى أنها اشتبكت مع الجيش الروماني في معركة عام ٢٥١م قتل فيها الإمبراطور الروماني دسيس **Decius**(١).

حاول الإمبراطور دقلدينوس **Diocleian** إنقاذ الإمبراطورية عن طريق الاهتمام بالمقاطعات ، خاصة في الشرق واختار قرية صغيرة على مضيق البسفور

---

(١) هرنشو ، المرجع السابق ، ص٢٥.

تسمى "بوزنطة" لتعميرها حيث لاحظ ماتوفره لها الطبيعة من قلاع ووسائل دفاعية، كما انه فوض جزء من السلطة لإمبراطور ثان يقيم في مدينة ميلان مع وجود أباطرة مساعدين في الشرق والغرب، غير أن هذا لم يوفر إلا حلول وقتية لأزمة الدولة، فبعد تنازل دقلدينوس(٣٠٥م) اشتعل الصراع بين عدد من المتنازعين على العرش حتى تغلب قسطنطين الذي نقل العاصمة بشكل رسمي إلى ضفاف البسفور حيث أصبحت المدينة تحمل اسمه منذ (٣٣٠م).

أدى هذا إلى إنقاذ جزء من أملاك الدولة فقط بينما استمرت مقاطعاتها تتعرض لهجمات البرابرة من الشرق والغرب. عند وفاة قسطنطين ٣٣٧ م قسم الإمبراطورية على أبنائه الثلاثة فانغمست الدولة مرة أخرى في الحروب الداخلية حتى مجيء الإمبراطور ثيودسيس **Theodocius** (٣٣٨- ٣٩٥ م) ولعل أهم حدث في عصره، أن المسيحية أصبحت الدين الرسمي للدولة فأصبح لرجال الدين مكانة مرموقة في المجتمع خاصة في مجال الفكر والتعليم والثقافة وذلك لأنهم نجحوا في الحفاظ على التراث الإغريقي والروماني. أدى هذا إلى توفر المصادر لديهم فأصبحت الكتابة التاريخية خاضعة لرؤياهم للألف عام القادمة. ابتعد هذا التدوين التاريخي عن الصيغة العلمية التي اتسم بها في العصور القديمة واصبح عبارة عن سجل لكرامات وتضحيات القديسين ولا يهتم إلا بما له صلة بالدين. ظهرت مؤلفات مثل تاريخ افريكانوس**Jafricanus**(٢٢١م)[١] وكتاب أوزيبيوس **Eusebuies**

(١) رحالة ليبي المولد كتب تاريخاً للعالم فقدت أغلب أجزائه.

(٢٦٠ - ٣٤٠)[١] الذي يعتبر مؤسس التاريخ الكنسي وتاريخ جيروم Jerome(٤٠٠م)[٢].

وضعت الكتابة التاريخية على أيدي هؤلاء في إطار جامد لم تستطيع أن تتحرر منه إلا بمشقة. ثم وضع باولس أورسيوس[٣] PaulusOrosusis مؤلفه الذي سماه "الكتب التاريخية السبعة المؤلفة في الرد على الوثنيين" فجاء مليئاً بالأساطير والخرافات المبنية على التحيز والغرض[٤].

ثم ظهر الصراع بين الإمبراطورية والبابوية منذ منتصف القرن التاسع. كانت الكنيسة في بداية عهدها تتولى السلطة الدينية في العالم الغربي ولها الزعامة الروحية بينما ظلت الإمبراطورية تتمتع بالسيادة الزمنية ، غير أن انتشار المسيحية وتأسيس الكنائس والأديرة وازدياد رجال الدين اخرج الكنيسة من الهيئة التي عرفت بها في القرون الأولى ، وبدأت تدريجياً تمارس سلطة زمنية وأصبح لها هيكل يتمثل في القساوسة والأساقفة والكرادلة ويجلس على قمة هذا الهيكل البابا ، واتت الفرصة للكنيسة للتدخل في الشؤون الزمنية بعد زوال الإمبراطورية من الغرب ، فأصبح الجميع يتطلع للبابا لحماية العالم المسيحي والدفاع عنه ورعاية شؤونه ، ولقد ظل الوضع قائماً بهذا الشكل حتى ظهور شارلمان زعيم الفرنجة الذي اعترف البابا بفضله في حماية المسيحية

---

(١) أسقف قسارية(قيصرية).

(٢) مؤسس الكنيسة اللاتينية وقد ترجم الانجيل الى اللاتينية.

(٣) كان أورسيوس تلميذاً للقديس أوغسطين وقد استمد ابن خلدون أغلب معلوماته عن الروم من هذا الكتاب.

(٤) هرنشو، المرجع السابق، ص٢٩.

ورعايته للكنيسة، فتوجه إمبراطور في ٨٠٠م في كنيسة القديس بطرس وهو أول تتويج يحدث منذ ٤٧٦م، بعد شارلمان، عمت الفوضى أرجاء مملكته وانتشرت الاضطرابات في كل الغرب المسيحي ولقد طالت هذه الكنيسة نفسها ففقد البابا سيطرته على كنائس فرنسا وانجلترا واسبانيا فتحول الأساقفة إلى تابعين للملوك والأمراء وكبار الإقطاعيين وتلاشى دورهم الروحي، واخذوا يشاركون في الحروب وجمع الضرائب والرسوم التي يفرضها الإقطاع. لقد أدى إباحة زواج رجال الدين إلى انغماسهم في تكوين الثروة لتوريثها، وبما أن الأرض كانت المصدر الوحيد للثروة آنذاك فقد أخذوا ينافسون أمراء الإقطاع في الحصول عليها(١).

أدرك بعض المصلحين من رجال الدين الدرك انغمس فيه الاكليروس، وكانت فكرة سمو الكنيسة على السلطة الزمنية، مازالت ماثلة أمام أعين هؤلاء المصلحين، وإذا كانت الكنيسة قد استسلمت لشارلمان فلأنه اثبت مقدرته على حماية الكنيسة ورعاية شؤونها بمفهوم صريح، وان وحدة شعوب الإمبراطورية يجب أن يصاحبها قيام كنيسة قوية.

سعى البابوات لإنقاذ الكنيسة فنجح بعض هؤلاء أمثال جريجوري الرابع (٨٣٣م) ونيقولا الأول(٨٥٨م) وحنا الثاني الذي توج شارلمان الثاني في (٨٧٥م) في إعادة هيبة الاكليروس وسمو سلطة الكنيسة فوق السلطة الزمنية؛ إلا أن خطورة هذا الأمر دفع رجال الدين لتأكيد سلطة الكنيسة بإستخدام كافة الأساليب فلجأ

---

(١) هرنشو، المرجع السابق، ص٣٠.

بعضهم إلى التزييف والتزوير للحصول على وثائق تثبت ادعاءات الكنيسة. فكان إن عرضت وثيقة عرفت بهبة قسطنطين **Donation of Costantine** ذكر فيها أن الإمبراطور قسطنطين تنازل عن روما وكل مقاطعات الإمبراطورية الغربية للبابوية عندما نقل عاصمته رسمياً للقسطنطينية(١).

ولقد أبرز رجال الدين وثيقة أخرى عرفت بالأحكام البابوية لايعرف الكثير عنها، وإنما نسبت إلى شخص يدعى السيدور، وهدفت إلى إعلاء سلطة البابوية على الأساقفة مما أتاح للبابا التدخل في كل الكنائس في غرب أوروبا.

ولقد شهدت العصور الوسطى ظاهرة الإقطاع الذي كان يعني تجزئة سلطة الإمبراطور ليشاركه فيها أمراء وملاك أراضي، فأصبحت الأرض هي المصدر للثراء والقوة ونمت رابطة بين ملاك الأراضي والذين يستغلونها وهي رابطة تبعية وولاء تنظمها التزامات وحقوق من الجانبين، ولعل أهم التزام هو مشاركة "الافصال" للإقطاعي في حروبه سواء كان ضد جيرانه أو مع زعيم إقطاعي اكبر منه، ولقد كان الإقطاعي يمارس سلطات في إقطاعه تماثل سلطة الملك من جمع الضرائب وتوفير خدمات معينة إلا إن النظام لم يكن من مظاهر التطور بالنسبة للحياة في أوروبا بل بالعكس إذ حمل في طياته الكثير من مظاهر التخلف وعمت الفوضى والاضطرابات وساعد على تنمية الحس الفردي والقوة غير المحدودة والشدة والقسوة المتناهية.

استفاد الإقطاع من النزاع بين السلطة الدينية والزمنية وشارك كثير من الأمراء في الحروب التي اندلعت في كل من ايطاليا وألمانيا حتى القرن الثالث عشر

---

(١) طرخان، المرجع السابق، ص٧٤.

حين اكتملت سيطرة أمراء الإقطاع وسلطة رجال الدين، حتى تولوا مهام قيادية في العالم المسيحي فدعوا الحملات الصليبية لاستخلاص المناطق المسيحية من أيدي المسلمين في الشرق. إلا أن الضعف بدأ يدرك سلطة الأمراء بعد الحروب الصليبية ففقدت البابوية سندها فسعى الملوك لتعزيز سلطانهم بتكوين جيوش نظامية تستخدم الأسلحة التي ساعد اكتشاف البارود على توفرها. تزامن هذا مع انتعاش في التجارة وظهور الطبقة الوسطى المتاجرة التي ساندت الملوك لأنهم اقدر على حمايتهم وساندها الملوك بسبب توفر الأموال لديها وقدرتها على دفع الرسوم والضرائب والمساهمة في تشكيل القوات العسكرية[١].

لقد انعكست الأوضاع في أوروبا على علم التاريخ والكتابة التاريخية إذ هيمنت المسيحية على الحياة السياسية والفكرية وتولى رجال الدين مهمة تسجيل الأحداث والوقائع ونشرها في حين قل اهتمام المثقف العادي بها. ارتبطت الدراسات التاريخية بالدين وأصبح الهدف منها خدمة المسيحية ورجال الدين، فأخذ المؤرخون وهم أيضاً من الاكليروس يكتبون عن سير القديسين والرسل وإظهار معجزاتهم وكراماتهم في عهد المسيحية الأول وما تعرضوا له من اضطهاد ومابذلوه من تضحيات، ومن الطبيعي أن تمتزج هذه بكثير من الأساطير، ولقد خدمت الظروف السائدة التاريخ خدمة عظيمة ذلك لأن انتشار العنف والحروب والاقتتال أدى إلى تدمير الكثير من مظاهر الحضارة الرومانية والمدن المهمة ولم تسلم الكنائس والأديرة أحياناً، فكان أن لجأ بعض

(١) طرخان، المرجع السابق، ص٧٥.

رجال الدين وأمراء الإقطاع إلى إخفاء المخطوطات والكتب الأثرية حتى لاتطالها أيدي التدمير. ثم إن حالة عدم الاستقرار أخافت الإقطاعيين والنبلاء حتى لا تضيع حقوقهم فسعوا إلى جمع الوثائق التي تثبت ملكيتهم. ظهرت أيضاً دفاتر الحسابات فأصبحت هذه من مصادر التاريخ، ثم إن بعض الأسر الحاكمة أخذت في تسجيل تاريخها مما أفاد فيما بعد في التعرف على أنظمة وأساليب حياة تلك المجتمعات، لقد دفعت الأحداث العاصفة التي شهدتها أوروبا المؤرخين للتفكير في جانب آخر من التاريخ هو تعليل الأحداث والاهتمام بوحدة التاريخ وعدم تقيده بزمان ومكان على أساس انه سجل لما يقوم به الإله نحو الإنسان فاكسب هذا التاريخ قدراً كبيراً من الاحترام، وخير مثال على هذا كتاب سان أغسطس "مدينة الله" الذي يعتبر أول كتاب في فلسفة التاريخ، وصور أحداث التاريخ بأنها صراع بين مدينة الله ومدينة الشيطان[1].

اتخذت المؤلفات التاريخية في بادئ الأمر شكل الحوليات **Annals** بمعنى تسجيل أحداث كل عام بشكل مقتضب مثلاً ٧٠٠: فيضان، ٧٠١: مجاعة، ٧٠٢: حرب، زلزال، وكانت تهتم أيضاً بالخوارق مثل ولادة خنزير بست قوائم[2] ولكن تدريجياً بدأ التوسع في ذكر أحداث العام. اغلب هذه دونت في الكنائس والأديرة ولهذا غلبت على أحداثها طابع المحلية مثل أسماء القساوسة والصدقات ونقص المحصول... الخ لكن عند ازدياد الاتصال بين المناطق المختلفة والرحلات المتبادلة

---

(١) هرنشو، المرجع السابق، ص٢٩.

(٢) قاسم عبده، المرجع السا بق، ص٥٥.

أشار هر نشو الى ان الكتاب لايحتوي على فلسفة او تاريخ بل مجرد لاهوت وقصص.

أصبحت هناك إمكانية لتبادل الأخبار فتوسعت الكتابة التاريخية لتضم أحداث ذات طابع عالمي ، ثم إن تطور العلاقات التجارية وبداية ظهور الأرستقراطية ونمو سلطة الملوك وفرت المزيد من المادة للمؤرخين ليكتبوا عن أحداث محلية وعالمية ، من أهم هذه حولية المؤرخ الإنجليزي روجر هوفلدن Roger Horvdon التي سماه حولية كولون الكبرى The great Annals of Cologne والتي سجل فيها تاريخ بلاده في القرن الأول الميلادي.

ولقد ظهر شكلان من المؤلفات التاريخية أولها عرف بـ "التواريخ"Chronicles وهي تكتب في شكل الحوليات إلا أنها أكثر تفصيلاً وكانت تعني بكتابة التاريخ العام منذ بداية الكون ومن أشهر هذه التواريخ تاريخ نانت Chronicles of Nantes التي ظهرت في فرنسا وسجلت الأحداث التاريخية حتى عام ١٠٤٩م وفي ألمانيا ظهر تاريخ الانجلو ساكسون The Anglo- Saxon Chronicles التي اتسمت بالعرض التاريخي السليم وما زاد من قيمتها اعتماد المؤلف على الوثائق لإثبات صحة بعض الوقائع ، وفي انجلترا أصدر الراهب ماتيو كتاب التاريخ الأكبر.

أما الشكل الثاني من المؤلفات التاريخية فقد عرف "بالكاتلوج" وهو عبارة عن تراجم على مستوى إقليمي يتعرض للشخصيات المهمة من قديسين ونبلاء وإقطاعيين. مايلاحظ هنا أن المؤرخ أحياناً هو رجل الدين ويدون سير أمراء الإقطاع الذين يرتبط بهم أيضاً فلا توجد إذا حدود فاصلة ، غير أن التراجم بالمعنى المعروف حديثاً أي أن يكتب الفرد سيرة حياته فلم تكن معروفة إلا في حالات قليلة جداً أغلبها لرهبان عاشوا في الأديرة وسجلوا حياتهم داخل

الدير مثل مؤلفات شوجر في دير سانت دينس (١١٢٢- ١١٥١م) وابيلارد (١٠٧٩- ١١٤٢م).

ولقد استمر هذا الأسلوب حتى القرن الثاني عشر حين ظهر كتاب روبرت تورجني الذي سجل فيه الوقائع المهمة حتى وفاته ١١٨٦م. رغم أنه عاش في دير سانت مايكل بجنوب غرب بريطانيا إلا أن حوادثه لم تقتصر على ما يدور هناك بل سجل وقائع عالمية مستنداً على الأخبار التي ينقلها زوار الدير، في فرنسا ألف اوردريك فيتاليس الذي عاش في شمال غرب فرنسا كتاباً جمع فيه الكثير من الأخبار والأحداث حصل عليها بفضل ثقافته الواسعة واهتمامه بالعالم حوله. بدأ الكتاب بظهور المسيحية وتطرق لأخبار عن مناطق مثل صقلية والشرق وانجلترا ولهذا اعتبر أعظم كتاب تاريخي ظهر في فرنسا خلال القرن الثاني عشر.

ثم خطت الكتابة التاريخية خطوة أخرى عندما أدخل بعض المؤرخين النظرة الفلسفية للتاريخ، ولعل رائد هذه المحاولة الأسقف اوتو(ت ١٢٥٨م) الذي كان فيلسوفاً ومؤرخاً بسبب علاقة القرابة التي ربطته بفردريك باربروسا فقد كان مطلعاً على كثير من أحداث عصره. ثم انه سافر مع الإمبراطور في عدة رحلات للخارج فزار روما والقدس وكتب وصفاً لمشاهداته هناك والتقى بشهود عيان اشتركوا في بعض الأحداث التي ورد ذكرها في تلك التواريخ. ثم وضع فراوسار **Froissar** (١٣٣٧- ١٤١٠م) وهو مؤرخ فرنسي كتاب"التاريخ" الذي اشتهر بجمال أسلوبه وبساطته، وكتاب فيليب دي كومنين"مذكرات" (١٤٤٥- ١٥٠٩م) الذي اتخذ الصبغة العلمية في كتابه التاريخ[1].

(١) هر نشو، المرجع السابق، ص٣٠

دخلت الكتابة طوراً جديداً عندما تخلى المؤرخون عن الكتابة بأسلوب الحوليات وابتعدوا عن الروايات وكل ما هو غير موثوق به تماماً مما جعل الكتابة التاريخية تتخذ الصبغة العلمية ، ولقد تزامن مع هذا انتقال التأليف التاريخي من رجال الدين إلى العلمانيين.

يعزى بعض المؤرخين هذا التطور إلى عاملين هما :

١. أثر الحضارة الإسلامية التي اتصلت بالعالم الأوروبي في مجالات متعددة أثرت عليه وقامت بينها صلات ثقافية وسياسيه متنوعة مما كان له أبعد الأثر في الحياة الفكرية والعلمية في أوروبا الغربية ، ومن مؤرخي الإسلام الذين تركوا بصماتهم في تطور الكتابة التاريخية في العصور الوسطى كل من : المسعودي(٦٥٧م) وابن خلكان(١٢٨٢م) وابن خلدون (١٤٠٦م).

ويبدوا لنا التأثير الإسلامي واضحاً في كتابات المستعربين الأندلسيين التاريخية التي تضمنت أحداثاً نقلوها عن المؤرخين العرب ومن أمثال هذه : الحولية البيزنطية العربية ٧٤١م وهي عبارة عن تاريخ عام يتضمن أخبار ملوك اسبانيا وأباطرة الدولة البيزنطية وأخبار فتوحات المسلمين في المشرق واسبانيا.

هناك أيضاً الحولية المستعربة ٧٥٤م وتسمى أحياناً تاريخ مجهول المؤلف لمدينة قرطبة وهي تبدأ بتاريخ عام منذ بداية الخليقة إلى ٧٥٤م وتتضمن تاريخ الروم والعرب ، واسبانيا وواضح أن المؤلف استقي المعلومات من مصادر عربية.

أما الحولية التي ظهر فيها بشكل قاطع أثر احد المؤرخين المسلمين وهو احمد بن محمد الرازي فهي الحولية القوطية التي كتبت أول القرن الحادي عشر وتضمنت تاريخ عام للرومان وإسبانيا والفتوحات.

٢. جاء اكتشاف الطباعة في عام ١٤٥٠م ليكمل عملية انتقال الكتابة التاريخية من يد رجال الدين إلى العلمانيين خاصة بعد أن توسعت مدارك العالم الأوروبي بالكشوف الجغرافية وبعد أن انهارت سلطة الإقطاع العسكرية وبدأت تظهر الملكيات القومية تحميها الجيوش النظامية بعد أن استفادت من اكتشاف البارود وزوال طبقة الأمراء أما بالموت في الحملات الصليبية أو الاستقرار في الشرق[1].

(١) طرخان، المرجع السابق، ص٩٩.

الفصل الرابع
الكتابة التاريخية في العصور الحديثة

الفصل الرابع
الكتابة التاريخية في العصور الحديثة

حمل عصر النهضة تغييراً واضحاً في الكتابة التاريخية كجزء من النهضة التي طالت الآداب القديمة ، أدى هذا إلى تخلص التاريخ من سيطرة الكنيسة وارتباطه بها على انه تاريخ القديسين وكراماتهم وما تعرضوا له في حياتهم من قسوة تعذيب وأصبح ينظر للتاريخ كجزء من العلوم الدنيوية مما يعني صبغه بالصبغة الزمنية ، ثم إن الكتابة التاريخية تحولت من أيدي رجال الدين إلى العلمانيين الذين ادخلوا أساليب جديدة في الكتابة ظهرت فيها الحيل الدبلوماسية وتبرير اللجوء إلى القوة أحياناً إضافة إلى محاولات للحط من شأن العصور الوسطى بوصفها عصور انحطاط مقارنة مع العصور القديمة التي حظيت بكل التجلة والتقدير ، ثم ظهر الاهتمام بالأسلوب الأدبي وتهذيب المفردات اللاتينية[١] .

ولعل أهم سمة للكتابة التاريخية هنا انبعاث روح النقد كامتداد لما عرف عن الإغريق من ظمأ ونهم للمعرفة ولكن في صورة جديدة وظهر هذا بشكل واضح عندما أثبت لورنز فالا (١٤٠٦- ١٤٥٧م) أن منحة قسطنطين عبارة عن وثيقة مزورة لا تعود إلى الزمن الذي ادعى البابوات إنها كتبت فيه

---

(١) هر نشو، المرجع السابق، ص٤٨

بل بعد ذلك بخمسة قرون[١] ظهر من المؤرخين في ايطاليا إلى جانب لورنزو فالاليونردويروني (١٣٦٩- ١٤٤٤م) الذي كتب نقداً لتاريخ ليفي، وترجم الكتاب المقدس، كما ألف كتاب تاريخ فلورنسا في اثني عشر جزءاً، ويعتبر أول كتاب يحوي جميع سمات المدرسة الحديثة، ووضع بردجو برتشولين (١٣٨٠- ١٤٩٥م) كتاباً سماه "ثمانية كتب في تاريخ فلورنسا" إلى جانب فلافيوس بلندوس(١٣٨٨- ١٤٦٣م) الذي اعتبر أعظم مؤرخي عصر النهضة، كتب عدة مؤلفات عن تاريخ الرومان والنصرانية، اعتمد عليها المؤرخون عند الكتابة في مثل هذه الموضوعات فيما بعد[٢].

أما أصدق من يمثل عصر النهضة هو نيكولو ميكافلي (١٤٦٩- ١٥٢٧م) الذي وضع كتاب الأمير وتاريخ فلورنسا وجويشير ديني(١٤٨٣- ١٥٤٠م) ألف كتاب تاريخ ايطاليا[٣] بسبب احتقارهما للعصور الوسطى وإحساسهما بالمقت للبابوية والتركيز على الجانب السياسي والتمسك بالوطنية.

وفي بريطانيا برز بوليدور فرجيل (١٤٧٠- ١٥٥٥م) الذي أقام في انجلترا وكتب" تاريخ انجلترا في عهد هنري السابع". ظهر أيضاً في سويسرا يوافيم فون وت (١٤٨٤- ١٥٥١م) الذي ألف كتاب " التاريخ الكبير لرؤساء

---

(١) كان فالا يعمل أميناً لمكتبة الفاتيكان فتوفرت له المصادر لوضع عدة مؤلفات واثبت مقدرة نقدية فائقة، حاكمه الكهنة بسبب نقده لهبة قسطنطين أمام محاكم التفتيش وأوشك أن يفقد حياته لولا تدخل حاكم ارغونه الفونس السادس.

(٢) هر نشو، المرجع السابق، ص٥٠.

(٣) طرخان، المرجع السابق، ص١٠٤.

دير سنت غالن" وقد وضحت مقدرته في نقد الأصول ونظرته الفلسفية العميقة للأحداث، في ألمانيا ظهر بيس رينانوس (١٤٨٦- ١٥٤٧م) أما يوسف اسكاليجر (١٥٤٠- ١٦٠٩م) فقد كان أول من وضع قواعد لضبط ونقد الأصول التاريخية رغم انه كان أكثر اتصالاً بالأراضي المنخفضة في فرنسا(١).

أدى الاهتمام بالآداب القديمة إلى نبش المخطوطات والأصول خاصة العهد الجديد وترجمته للإغريقية، وعندما قورنت هذه الترجمة باللاتينية وضح ان هناك تحريف لعقائد المسيح والرسل، كما أظهرت تلك الترجمة خلافاً بينا في نظام الكنيسة ورجالها ما بين القرن الأول والقرن الخامس عشر، أدى هذا كما هو معروف لقيام حركة الإصلاح الديني والحروب الدينية التي أعقبتها. استفادت الكتابة التاريخية عندما أخذ كل فريق يبحث وينقب ليثبت وجهة نظره فانكبوا على وثائق التاريخ الكنسي لدراستها وفحصها بعناية لم تتعرض لها الأصول بمثل هذه القوة والتأثير من قبل. فكان ان ظهرت كتب مثل"سير بابوات روما" الذي وضعه روبرت بارنز R,Barnes (١٤٩٥- ١٥٤٠م) وكتاب الشهداء (١٥٥٤م) الذي وضعه جون موكس تناول فيه سير البابوات والشهداء ولقد أصدر ماثيوس فلاكسيوس كتاب قرون كاجدبرج Magodoburg Centuriesالذي تضمن اعنف هجوم على الكاثوليكية، قد نشر أول مرة في سويسرا بعنوان "تاريخ الكنيسة النصرانية" تناول تاريخ الكنيسة على مدى أربعة عشر قرناً مبيناً ما حدث من تدهور وانحلال وفساد مقارنة بالعام الأول،

---

(١) هرنشو، المرجع السابق، ص٥٢.

ورغم ما أحدثه من صدمة لدى الكاثوليك لكنه أفاد في توفير مادة غزيرة أزالت الغموض عن بعض الأحداث المهمة. أثار هذا الكتاب رداً تمثل في مؤلف قيصر بارونيوس المسمى "الحوليات" (١٥٨٨م) وقد استفاد من موقعه كقيم على مكتبة الفاتيكان فنقب في المخطوطات والوثائق الفريدة التي لم يطلع عليها احد فكان ان كشف عن الكثير من المعلومات الجديدة نقضت كل ماجاء في كتاب القرون السابقة ، إلا أن هذه المعلومات تعرضت للنقد إذ أن جوانب منها لم يتحرى المؤلف الدقة اللازمة فكان ان اثبت يوسف سكاليجر واسحق كزوبون أخطاء قاتلة في ذلك الكتاب.

أما القرن السادس والسابع عشر فقد شهدا دخول عنصر جديد في الكتابة التاريخية إذ ظهرت حركة الكشوف الجغرافية لتجعل أوروبا تتصل بحضارات المكسيك وبيرو وجزر الهند الغربية وجنوب إفريقيا ، فكان أن أثارت هذه خيال المؤرخين فاتسع مجال البحث التاريخي ليشمل العادات والآداب والنظم السياسية والاجتماعية وهي مجالات لم تكن معروفة خلال العصور الوسطى التي لم تنتج خلالها سوى الحوليات وتواريخ رتيبة متشابهة [١].

كما أدت الكشوف الجغرافية إلى تغيرات اقتصادية من حيث ظهور الرأسمالية وتطورها ونمو الطبقة الوسطى وتدهور الإقطاع مما أفاد طبقة على حساب أخرى ، وكان العمال من ضحايا هذا التغيير فنشط البحث في أصول

---

(١) ظهر تأثير الكشوف الجغرافية على كتابة التاريخ في اسبانيا بوصفها رائدة في هذا المجال في كتابات الوده ابتدو (١٤٧٨- ١٥٧٠م) ويورتوجي لاس كازاس(١٤٧٤- ١٥٦٦م).

ومسوغات الشرائع والحكومات على أساس أنها مسؤولة عن هذا الوضع المتردي ، ففي انجلترا ساد اعتقاد ان الفتح النورماندي هو سبب الكوارث التي حلت بالفلاحين خلال القرن السابع عشر فاتجه المؤرخون يبحثون في ماهية هذا الفتح بشكل دقيق[١].

ثم إن التهديد الذي أحس به أمراء الإقطاع من طبقة الرأسمالية التي تدفقت عليها أموال المستعمرات جعلت هؤلاء ينقبون ويبحثون عن الوثائق التي تثبت مكانتهم وتدعم سلطانهم وممتلكاتهم مما أفاد الكتابة التاريخية بتوفير مزيد من الأصول للمؤرخين.

أما التأثير السياسي لحركة الاستعمار فقد تمثل في اهتمام الدول بمكانتها الدولية والبحث عما يدعم هذه المكانة ويطورها ، فجاء الاهتمام بالتاريخ الدستوري والبحث عن الأصول التي تفيد في الصراع الذي سرعان ما اندلع بين الدول ، مثلاً سعت الأراضي المنخفضة الهولندية لإثبات حقها في الحكم الذاتي والتخلص من الحكم المركزي الذي أراد فيليب ملك اسبانيا أن يفرضه ، وأُبرزت عدة مخطوطات تعود إلى العصر البرغندي وربما الكارولنجي ، في فرنسا اندلع صراع بين ملكية آل كابية والنبلاء ، تدخل البحث التاريخي ليثبت عن طريق المخطوطات أصول الملكية الفرنسية.

ولعل أهم النزاعات التي حسمت بواسطة البحث التاريخي ما حدث في انجلترا من صراع بين ملوك ستيورت والبرلمان في أول القرن السابع عشر ،

---

(١) هر نشو ، المرجع السابق ، ص ٥٩.

فالملوك ادعوا بان لهم حقوق وامتيازات حصلوا عليها منذ عهد هنري الثامن وإليزابيث الأولى دون أن يعترض البرلمان ، غير أن البرلمان ادعى أن له حقوقاً وامتيازات منحها له هنري السادس ، ولقد عكف كل فريق في دراسة الوثائق الرسمية والقوانين القديمة وجمع كل ما من شأنه خدمته في القضية موضوع النزاع ، ولقد أفاد هذا الكتابة التاريخية بشكل كبير فقد نشرت معلومات وفيرة عن التاريخ الدستوري لانجلترا وتطوره والأسس التي تقوم عليها الحريات العامة ، وأثرت هذه على دراسة التاريخ بالشكل الذي أحدثه الجدل الذي ثار بين البابا ليو العاشر ومارتن لوثر في ألمانيا.

انشغلت أوروبا بالحروب الدينية والسياسية وبالتالي لم يحدث تغيير في النظرة إلى علم التاريخ حتى نهاية القرن الثامن عشر ويعود الفضل في هذا إلى المؤرخ والفيلسوف الإيطالي جيوفني باتستا فيكر **Giovanni Battista Vico** (١٦٦٨- ١٧٤٤م) الذي أصدر كتاب "أصول علم جديد" في عام ١٧٢٥م ليتبنى فكرة انتقال التاريخ من ميدان الحرب إلى البحث وانه فرع من علم واسع يتصل بشؤون المجتمع الإنساني ، ورغم ما حدث من فائدة لعلم التاريخ وفلسفته. إلا أن فيكو لم يستطع أن يدرس وقائع التاريخ دراسة علمية مبنية على الفهم الصحيح والأصول التاريخية ، وذلك لأنه لم يكن مؤرخاً بل رجل قانون لكن مبادئه وجدت فرصة في التطبيق عندما أخذها عنه المؤرخ الفيلسوف الفرنسي مونتيسكيو **Montesquieu** (١٦٨٩- ١٧٥٥م) الذي اشتهر بالجرأة والشجاعة في مجال النقد وألف عدة كتب منها "عظمة الرومان واضمحلالهم"

و"روح القوانين" تناول فيهما تطور الشعبين الفرنسي والإنجليزي في المجال الدستوري وقارن بين اوضاعهما وما كان لدى الرومان والأمم القديمة الأخرى.

ثم جاء فرانسوا ماري أوريه فولتير (١٦٩٤- ١٧٧٨م) الذي اشتهر بمقدرته الفائقة على النقد والمجاهرة برأيه بشجاعة فكتب"تاريخ شارل الثاني عشر" الذي تناول فيه سيرة هذا الملك(السويدي) وبسالته ومهاراته. في عام ١٧٥١م أصدر كتاب "عصر لويس الرابع عشر" تناول فيه عوامل القوة والضعف في عصر ذلك الملك، ثم ظهرت له"مقالة في الآداب" تعرض فيه للشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وقد اشتهر هذا الكتاب؛ لان فولتير اعترف فيه بفضل الحضارة الإسلامية على حضارة الغرب المسيحي.

وقد ظهر تأثير فولتير ونزعته العقلانية في كتابات كثير من المؤرخين الذين عاصروه أو جاءوا بعده مثل ديفيد هوم(١٧١١- ١٧٧٦م)[(١)] الذي كتب في التاريخ والاقتصاد والأخلاق عدة مؤلفات، تأثر بفولتير أيضاً وليم روبرسون[(٢)] (١٧٢١- ١٧٩٣م) وادوارد جيبون(١٧٣٧- ١٧٩٤م)[(٣)] ولقد كان كتابه أول كتاب يصدر عن دولة كبرى في العصر الحديث وقد سماه" اضمحلال وسقوط الدولة الرومانية"، ولقد ترجم لعدة لغات ومايزال يعتبر ذو قيمة تاريخية عظيمة. إلا أن الهدف من دراسة التاريخ نظرياً وواقعياً ظل غامضاً في كتابات هذه المجموعة من المؤرخين، ولقد بذل بعضهم جهداً في نقد وتمحيص المصادر، إلا أن

---

(١) هيوم فيلسوف ومؤرخ اقتصادي إنجليزي ما تزال مؤلفاته تستخدم كمراجع.

(٢) روبرسونمؤرخ اسكتلندي وضع كتاب تاريخ عرض الامبراطور شارل الخامس، مترجم إلى عدة لغات.

(٣) جيبون مؤرخ إنجليزي.

اغلبهم تسرع وشرع في الكتابة قبل إكمال إثبات الحقائق. ألف آدم سميث كتاب ثروة الأمم(١٧٢٣- ١٧٩٠م) الذي لفت فيه الأنظار إلى أهمية العامل الاقتصادي في التاريخ.

انشغلت فرنسا بالثورة الفرنسية بينما ظهر في ألمانيا مجموعة من المؤرخين كتبوا بأسلوب يناقض ما ظهر في كتابات فولتير من حيث العقلانية الجافة، منهم يوحنا هردر(١٧٤٤- ١٨٠٢م) الذي أصدر كتاب "خواطر في فلسفة تاريخ الإنسانية". ثم أصدر يوحنا ميللر "تاريخ الحلف السويسري".

غير أن الثورة الفرنسية ساعدت التاريخ بإصدار قانون تأسيس الأرشيف القومي الفرنسي في ١٢/٩/١٧٩٠م رغم أنها أرادت توجيه الكتابة لخدمة أغراضها ولهذا أحرقت كل وثائق النبلاء والإقطاع وأرادت أن يكون الأرشيف مستودعاً لحفظ وثائق الجمعية التأسيسية، مما أضر بالكتابة التاريخية ولقد نقلت لهذا الأرشيف ارشيفات من الأقاليم، عند سيطرة نابليون على أوروبا نقل وثائق ومخطوطات من اسبانيا وألمانيا وبلجيكا والفاتيكان لهذا الأرشيف. رغم هذا أعاقت سنوات الثورة (١٧٨٩- ١٨١٥م) البحث التاريخي والكتابة فيه ولم تظهر أي اتجاهات جديدة أو نزعات إذ أن الأمور كانت متسارعة بدرجة لاتسمح بتبلور مثل هذه الأفكار. بعد الثورة الفرنسية ظهرت طائفة من المؤرخين تخلت نهائياً عن الأسس والمبادىء التي اختطها روسو وفولتير والثورة لتعيد التمسك بالديانات السماوية وتمجيد العصور الوسطى وإبراز محاسنها ونشاطاتها بوصفها مثلاً أعلى بين العصور. أبرز هذه الكتب ما وضعه

شاتوبريان (١٧٦٨ - ١٨٤٨م) وكتاب تيري Theory (١٧٩٥ - ١٨٥٦م) عن الفتح النورماندي لانجلترا وكتاب كاريل (١٧٩٥ - ١٨٨١م) "الماضي والحاضر" وكتاب الأبطال الذي أشار فيه إلى أن التاريخ يسيره الأبطال، لقد أدت هذه النزعة الجديدة إلى مزيد من الفحص لمخطوطات وأصول تاريخ العصور الوسطى بعد أن أهملها مؤرخو الإصلاح الديني وعصر الاستنارة.

لا ننسى المحاولات التي قامت لجمع مصادر التاريخ ونشرها ابتداء من القرن السادس عشر وقد وفرت هذه مجاميع موثوق بها وان كانت قد استفادت من النزاعات التي أفرزتها الحروب الدينية وهي بداية الحركة القومية والعصبية المحلية، فكانت أن ظهرت في انجلترا مجموعة هول(١٤٨٩ - ١٥٤٧م) ومجموعة هولنشر وقد اشتملت على تاريخ مطول لانجلترا واستكلندة وهي من المصادر التي جاءت منها روايات شكسبير. في اسبانيا ظهرت مجموعة تحت اسم الشؤون الاسبانية وكذلك ظهرت مجموعات مماثلة في فرنسا مثل مؤرخو التاريخ النورماندي والشؤون الإيطالية وفي ألمانيا ظهر كتاب الملكية في الدولة الرومانية، ولعل أهمها مجلدات العصور الوسطى التي أعدها الرهبان البندكتيون. أدى ظهور هذه المجاميع إلى تهيئة الظروف في مطلع القرن التاسع عشر إلى قيام مدرسة تاريخية علمية نبذت الخرافات التي البست ثوب الواقع وبدأت تتمسك أكثر بالحقيقة وان شابها بعض القصور متمثلاً في أن اغلب المؤرخين لم يدرسوا ويكتبوا التاريخ لذاته بل لاستغلاله في مصالح سياسية أو دينية، ثم هناك التمسك بالمحلية والتركيز على دولة بعينها أو إقليم دون أي

اعتبار لأوروبا أو العالم حولهم، وكانوا أيضا لا يتخطون مجال الدين والسياسة فتجاهلوا الظواهر الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفنية التي قد تكون ابعد أثراً من العامل الديني والسياسي، وأخذ أيضاً على هؤلاء المؤرخين عدم الاهتمام الكافي بالمصادر وفحصها والتأكد من صحتها.

أول خطوة في مجال النقد التاريخي حددت بنشر العالم الألماني ولف (١٧٥٩- ١٨٢٤م)"مقدمة هوميروس" وهو بحث أدبي أوضح فيه أن الالياذة والاوديسا لم تكن من تألف هومر أو أي رجل آخر بل من مجموعة الشعراء المغمورين ألفوها على فترات متباعدة، أما أهميتها بالنسبة للتاريخ فقد كشفت الدراسة إمكانية الحصول على معلومات على درجة من الخطورة من الوثائق القديمة، فكان أن اظهر مؤرخون أرادوا تطبيق هذه النظرية في التاريخ، فشرع نيبور في مراجعة نصوص تاريخ ليفي عن الجمهورية الرومانية، واستبعد كل ما جاء فيها من أساطير وخرافات لم يبق إلا ما تأكد من إثباته فوضع التاريخ في مكانة علم مستقل من الطراز الأول، ولقد استفاد من كل ما يمكن أن يحصل عليه من وثائق ونقوش وسجلات ومذكرات، وقد تتابع ظهور المؤرخين الذين ساروا على هذا النهج في ألمانيا التي اعتبرت مهد فن التاريخ الحديث وعلى راس هؤلاء ليوبولدفون رانكي الذي اعتبر اقرب المؤرخين إلى المدنبة المثالية.

في فرنسا أصدر فرانسو جيزو(١٧٨٧- ١٨٧٤م) مجلدات وثائق تاريخ أوروبا في العصور الوسطى في ٣٣ مجلداً، أصبحت مصادر للكتابات التي صدرت فيما بعد. تأسست في ١٨١١م مدرسة الوثائق، وأصبحت المركز

الرئيسي للدراسات الدبلوماسية في أوروبا ، كما أنها شجعت على التنقيب والتمحيص قبل إثبات الحقيقة مما يصب في مجال تشجيع النقد التاريخي والكتابة التاريخية على أسس علمية. أصدرت بلجيكا وثائق مماثلة وكذلك أسبانيا والنمسا ، وفي انجلترا صدرت تقاويم للأوراق الرسمية في عام ١٨٦٩م وتكونت لجنة المخطوطات التاريخية[١].

برز أيضاً يعقوب بوكارت(١٨١٨- ١٨٩٧م) وهو سويسري تتلمذ على رانكه ولكنه انتقد أسلوبه الجامد في الكتابة التاريخية على أساس انه جرد التاريخ من شاعريته ، ولقد ألف عدة كتب التزم فيها الدقة في المنهج التاريخي إضافة إلى الاهتمام بالجانب الإنساني والجمالي.

أما جول ميشليه (١٧٨٩- ١٨٧٤م) فقد تميزت كتاباته بالدقة والضبط مروجاً لفكرة القومية ، فكتب تاريخاً لفرنسا في سبعة عشر مجلداً كما اهتم بتدريس التاريخ في المداس وألف"مختصر التاريخ الحديث" ومقدمة للتاريخ العالمي وبهذا وضع الأساس للكتاب المدرسي في التاريخ.

أما كتابه التاريخ في أمريكا فقد نمت تحت تأثير المؤرخين الألمان ، فظهر اكبر مؤرخ أمريكي- جورج بانكروفت(١٨٠٠- ١٨٩١م) وقد تأثر بأسلوب (هيرد) في النقد التاريخي وجاء كتابه"تاريخ الولايات المتحدة" الذي كشف عن تحيز واضح ، إلا أن الكتابة التاريخية الموضوعية قد تطورت فيما بعد على أيدي مؤرخين أمثال هنري تيري من جامعة هافارد وفرانسيس لبير من جامعة كولومبيا التي تأسست فيها كلية السياسة على غرار ما هو موجود في جامعة برلين.

---

(١) هرنشو، المرجع السابق، ص٩١.

لقد شهد نهاية القرن التاسع التزام المؤرخين بمنهج علمي في الكتابة اتسم بالدقة والاستقصاء واثبات الحقائق، وكان هذا يستدعي نشر مجموعات من الوثائق والمخطوطات حتى توفرت معلومات غزيرة في الآف المجلدات في كل الأقطار وذلك بدعم وتشجيع من الحكومات. أصبحت هذه المادة فوق طاقة المؤرخين، ومن هنا ظهرت أهمية التخصص الضيق، فأصبح المؤرخ ينسب إلى المجال الذي تخصص فيه: مؤرخ الكنيسة، مؤرخ اقتصادي أو مؤرخ للعصر الحديث أو مؤرخ لتاريخ انجلترا مثلاً، لقد كان بعض مؤرخي بريطانيا أول من نبه لأهمية التخصص الضيق في الكتابة التاريخية في أواسط العهد الفكتوري، عندما انصرف فريمان(ت١٨٩٢م) وسيلي (ت ١٨٩٥م) للكتابة في التاريخ السياسي فقط، ولكن البعض انتقد هذا الاتجاه لاتهما اعتبرا التاريخ سياسة الماضي والسياسة تاريخ الحاضر، فأشار لورد اكتون إلى إن واجب المؤرخ ابعد من المجال السياسي وحده، ولابد إن يشمل جميع نواحي الحياة ويتعرض لكافة العوامل التي تؤثر في مجرى التاريخ الإنساني.

الفصل الخامس
التاريخ عند المسلمين

الفصل الخامس
التاريخ عند المسلمين

أثبتت الاكتشافات الأثرية معرفة العرب القدماء التدوين فنقشوا بالخط المسند على الحجارة منذ القرن الثالث الميلادي الإحداث المهمة وإخبار ملوكهم ومظاهر الحياة المختلفة وذلك في إطراف الجزيرة العربية واليمن حيث كان الاتصال وثيقاً بالإمبراطوريتين الفارسية والرومانية كما إن المستوى الحضاري كان يتيح مثل هذه المعرفة ، ولقد ثبت أيضاً وجود الحس التاريخي لديهم فكانوا يؤرخون بالإحداث العظام مثل عام الفيل وبناء الكعبة إضافة إلى تتبعهم لأخبار الأمم الأخرى وان تم عن طريق الروايات الشفوية[1] غير إن تأخر الوعي الحضاري لدى العرب يعود إلى عدم وجود دولة تجمعهم أو دين يوحدهم عقائدياً فارتبط فهمهم للتاريخ بالمصير المحتوم الذي يعني النهاية والفناء دون الالتفات إلى بداية الخليقة والهدف من وجود الإنسان على هذه الأرض[2].

عند ظهور الإسلام تغيرت نظرة الإنسان العربي إلى الكون والحياة مما أورده من معاني الخلود بعد الموت فتراجعت فكرة النهاية الحتمية التي كانت تثير قلق الإنسان العربي ، ثم إن الإسلام هو امتداد لرسالات سابقة : نوح وإبراهيم ويونس

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٢٠.

(٢) قاسم عبده قاسم ، المرجع السابق، ص ٤٦.

مما أصبح للماضي أهمية خاصة لمعرفة العمق الذي قامت عليه الرسالة المحمدية، ولقد ظهر تأثير القرآن الكريم بشكل واضح في أثاره الوعي التاريخي عندما أورد كثيراً من الإشارات عن بدء الخليفة وقصة خلق آدم ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون: ١٢].

وأشار إلى استخلاف الله تعالى للإنسان في الأرض كي يقوم بتعميرها وتسخير إمكانياتها لفائدته مستغلاً ما منحه الله من عقل مما يعني وضع الأسس للنظرة الحضارية للتاريخ، لعل أهم المؤثرات التي جاءت في القرآن الكريم ربط تاريخ الإنسان بتاريخ العالم[١]، إن كان للإنسان بداية لحياته فإنها ليست لها نهاية بل يعيش في عالم سرمدي بعد الموت ويحاسب على ما ارتكبه من أعمال في حياته فلم تعد إنجازاته كما ضائعاً بل هي مكتوبة توضع بين يديه يوم القيامة. أصبح للماضي أهمية قصوى للمؤمنين خاصة إن القرآن الكريم ربط بين تجارب الماضي والعبرة والعظة التي يمكن أن تستمد منها، إضافة إلى إنجازات الأمم والشعوب وما شهدته من تجارب مريرة أدت أحياناً إلى ازدهارها أو إلى انهيارها وهو أمر يقع في صميم النظرة التاريخية[٢]، ولقد وردت في القرآن الكريم آيات تتحدث عن الأرض وما فيها من خيرات من معادن ونباتات وحيوانات تحت تصرف الإنسان يستغلها بالطريقة المثلى مما

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، التاريخ تأريخه وتفسيره وكتابته، الدار السودانية للكتب الخرطوم، ١٤٢٠/١٩٩٩، ص٦٢.

(٢) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص٥٦.

يعني أن الإنسان قد شرع في استخدام إمكانياته الفعلية لتحسين أوضاعه الاقتصادية والمعيشية عن طريق العمل المتواصل إضافة إلى أن القرآن الكريم هدف إلى إظهار قدرات الله تعالى ليفكر الإنسان في آياته من بحار ومحيطات وسموات ، ثم إن ما جاء في القرآن الكريم من ذكر لتجارب الأمم السابقة دعا المسلمون لمعرفة المزيد عن هذه الأمم والتأمل فيما حدث لها وارتباط مصيرها بما قامت به من أعمال ظالمة جائرة. بقول تعالى: ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النازعات: ٢٥ – ٢٦].

إذا فقد أدى نزول القرآن الكريم إلى تغيير نظرة العربي إلى الحياة إذ اصبح لها هدف لأنه حفل بالكثير من الآيات عن العقائد والأقوام والمواقع الجغرافية ودعاه لاستخدام عقله للاستفادة من الموارد الطبيعية كما أشار إلى ما حدث لأمم أخرى بسبب ما ارتكبته من أثام فأثار كل هذا قدراً كبيراً من الحس التاريخي واعتبر القرآن الكريم أقدم وثيقة بين يدي المؤرخين.

إما إفاضة القرآن الكريم في الحديث عن أخبار الرسل والأقوام فقد شجعت على المزيد من البحث عن هؤلاء مما أدى إلى توضيح محسوس عن أهمية التاريخ ومعناه.

وردت آيات عدة عن قوم نوح وعاد وثمود ومدين وإبراهيم وموسى وعيسى. قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [نوح: ١] . قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الشعراء: ٦٩] ، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟

﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٥] ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾ [هود: ٥٠] هناك أيضاً فكرة العظة والعبرة التي هي من صميم العمل التاريخي فجاءت في عدة آيات ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٦] كما حملت آيات القرآن مغزى روحي للمادة التاريخية ﴿ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٦].

أخذ المؤرخون يجمعون مزيداً من المعلومات عن هؤلاء الأقوام حياتهم وعقائدهم . . الخ مما كان له أعظم الأثر في الحس والوعي التاريخي.

ولقد أشار القرآن الكريم في بداية الدعوة إلى الاهتمام بأقوال وأحاديث الرسول ﷺ وحض المسلمون على دراسة سيرته لتصبح مثالاً يحتذون به فمن هنا جاء الدافع القوي للاهتمام بأحاديث الرسول ودراستها وتصنيفها خاصة انه بعد قيام الدولة الإسلامية بدا الاعتماد على هذه في التشريع والتنظيم الإداري وكافة شؤون الحياة في الأمور التي لم يوجد فيها نصاً صريحاً في القرآن الكريم، من هنا جاء ارتباط التاريخ بسيرة الرسول ﷺ واهم جانب فيها ما عرف " بالمغازي" رغم أن الكلمة لغوياً تعني موضع الغزو أو الغزو نفسه لكن توسع استخدامها لتشمل كل جوانب حياة الرسول ﷺ وكفاحه وجهاده في سبيل نصره الإسلام، فصارت بهذا المعنى مرادفة للسيرة[١] .

اهتم المسلمون في البداية بتدوين الأحاديث النبوية للاستفادة منها في تفسير القرآن الكريم، إضافة إلى أن الأحاديث هي الركيزة الثانية في الشريعة،

---

(١) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٢٦.

فتأثر كتاب السيرة بأسلوب علماء الحديث في إسناد الرواية إلى أشخاص حتى بدا التاريخ كأنه فرع من الحديث وكأن الأئمة والعلماء في بادىء الأمر مؤرخين أيضاً متبحرين في العلوم الفقهية والشرعية ولهذا جاء أول هدف للتدوين التاريخي متمثلاً في تفسير القرآن الكريم.

ثم جاء اتساع نطاق الدولة الإسلامية ليحفز الخلفاء لمزيد من المعرفة عن أخبار الأمم الأخرى وأنظمتها وسياسات ملوكها وكيفية مواجهة مشاكل مجتمعاتها، فتولدت رغبة لمعرفة أخبار الفرس والروم وسير ملوكهم السابقين ونظمهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية خاصة بعد ان دخلت تلك المناطق في إطار الدولة الإسلامية فمثل هذا الهدف الثاني لكتابة التاريخ. أورد المسعودي أن معاوية بن أبي سفيان كان يستمر إلى ثلث الليل يستمع إلى أخبار العرب والعجم وملوك وسياسات الحكام وغير ذلك من أخبار الأمم السابقة[١]. ثم يقوم بعد ذلك ليحضر الدفاتر في سير الملوك وأخبارهم والحروب والمكايدة فتمر بسمعه كل ليلة جملة من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات.

ثم تعاظم الاهتمام بأخبار المناطق التي دخلت الإسلام بسبب ارتباط هذا بتقديرات ونوعية ما عليها أن تدفعه فتقدير الجزية والخراج يعتمد على طريقة دخولها في الإسلام: عنوة أم صلحاً، وكذلك زاد هذا الاهتمام عندما

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص٦٣.

أسس عمر بن الخطاب رضي الله عنه الديوان لتسجيل الناس حسب أسبقيتهم في دخول الإسلام[1].

ولقد أدى دخول الكثير من الشعوب التي لها تاريخ معروف مثل الفرس واليهود والنصارى إلى سعي هؤلاء لنشر تاريخهم بين المسلمين مما تضمن من إشارات إلى أمجاد أجدادهم وملوكهم، أوجد هذا ضرورة الاهتمام بتدوين تاريخ المسلمين وتسجيل الأحداث المهمة وانتصاراتهم وإنجازاتهم ليتباهوا بها أمام العجم وحتى لا تنجح محاولات هؤلاء بخلط تاريخ صدر الإسلام بتاريخ الأعاجم، قد فسر هذا الأمر أيضاً بان بعض مؤرخي الإسلام كتبوا عن تاريخ الأعاجم الذين دخلوا في الإسلام ليصبح جزءاً من التاريخ الإسلامي مما اكسبه صفة عالمية.

ثم حدثت الفتنة الكبرى وما أعقبها من صراعات أدت إلى قيام أحزاب وطوائف تناصر فريقا ضد آخر فالتفت الكل إلى التاريخ عله يجد فيه ما يدعم موقفه سواء كان من أحاديث الرسول ﷺ أو أفعاله أو أقواله ومواقف الصحابة والتابعين.

عندما وصلت الدولة الإسلامية إلى أقصى اتساعها حيث امتدت من الأندلس وشمال إفريقيا إلى جزيرة العرب والشام والعراق أحس المسلمون بدورهم الذي كسبوه بسبب ظهور الدعوة المحمدية فاخذوا في شحذ الهمم من اجل أن يعيشوا في مستوى هذا الدور فشرعوا يكتبون عن هذه التجربة الرائدة فظهر كم هائل من المؤلفات التاريخية.

---

(١) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص٨٩.

ثم أخذ التاريخ حظه بين العلوم الأخرى عندما نشطت حركة التأليف والترجمة والنقل واهتم الخلفاء بها وشجعوا النشاط العلمي في كافة الجوانب الفكرية.

ولقد أدى الانقسام الذي حدث في الدولة الإسلامية لظهور مراكز ثقافية متعددة أسوة بالمراكز السياسية ، ففي العصر الأموي جاء الاهتمام بالشام وأحداثها وانساب قبائلها ثم انتقل هذا الاهتمام مع الدولة العباسية إلى العراق.

وقد مرت الكتابة التاريخية عند المسلمين بالمراحل التالية : -

:

بدأ التدوين التاريخي في مراحله الأولى متأثرا بالأسلوب الذي كان سائداً قبل الإسلام وقد أطلق على مؤلفي هذه المرحلة "الاخباريون" لتمييزهم عن المحدثين وهم كتاب الحديث الشريف إذ أن الإخباري يعتبر اقل درجة من رواة الحديث الذين تخصصوا في أقوال الرسول صلى الله علية وسلم بينما كانت النظرة للإخباري بان مايروية لا يخلو من تلفيق واختلاق. انتمى لطائفة الإخباريين زياد بن أبية (ت ٥٣ هـ/٦٧٣م) وكعب الأحبار وهو يهودي اسلم في عهد أبو بكر الصديق رضي الله عنه روي كثيرا من الأخبار أصلها من الإسرائيليات فكان أن انتقلت هذه إلى التاريخ الإسلامي عندما نقل عنه بعض المؤرخين لاحقا[١].

ظهر أيضاً عبيد بن شريه الجرهمي الذي ذكر المسعودي أنه كان يسمع معاوية بن أبي سفيان كل ليلة أخبار العرب والعجم وأنه ألف كتاب " الملوك

---

(١) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم ، المرجع السابق ، ص٦٤ ، نقل عنه الطبري ومنه انتقلت إلى آخرين.

وأخبار الماضين" الذي ظهر بعنوان أخبار عبيد بن شريه الجرهمي وهي مليئة بالإسرائيليات وقصص وأنباء بني إسرائيل لابن محمد بن هشام الجمرهمي(١)، قد اشتهر من هذه المدرسة وهب بن منبه وهو يهودي من اليمن دخل الإسلام روى أيضاً الكثير من الإسرائيليات التي تسربت لمصادر التاريخ الإسلامي، لقد وضع كتاب المبتدأ الذي يعد أول محاولة عربية لتاريخ الرسالات أخذ منه ابن قتيبة في تاريخ المعارف والطبري في تاريخ الرسل والملوك، وصل كتاب آخر له بعنوان التيحان من ملوك حمير ويبدو أن أبا محمد بن عبد الملك بن هشام أضاف إليه وظهر بروايته.

ظهرت مجموعة من المؤلفين منهم محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٩هـ) وقد تخصص في علم الأنساب وعوانه بن الحكم(ت١٤٧هـ) وقد تخصص في أخبار بني أمية.

ثم جاء هشام بن محمد السائب الكلبي ليمثل تطوراً في التدوين التاريخي إذ انه حاول تحري الدقة في رواية الأخبار والأحداث واعتمد على الأصول التاريخية، أهم مؤلفاته "جمهرة الأنساب" ونسب فحول الخيل في الجاهلية والإسلام وكتاب الأصنام(٢). أما أبو مخنف الأزدي (ت ١٥١هـ) فهو إخباري من الكوفة كتب في الأنساب واهم أحداث صدر الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية وموقعه الجمل وصفين ولقد حاول التزام الحياد.

---

(١) يصفها عبد العزيز عبد الغني بأنها عبارة عن أخبار وقصص تروي في المجالس ولا تنتمي للتاريخ.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص٦٦.

ولقد شكل كتاب السيرة والمغازي أول محاولات لتدوين التاريخ بأسلوب علمي ذلك لأن روايتهم للحديث الشريف أفادت الكتابة التاريخية بشكل كبير من حيث أهمية التحقق من المصادر فالمحدث يهتم بسند الراوي وسنة وفاته والوقت الذي سمع فيه الحديث وعصره. انبثق من الاهتمام بعلم الحديث أشكال جديدة من الكتابة التاريخية فإتباع الرواة منهج الجرح والتعديل أدى إلى ظهور علم الطبقات التي شملت سير المحدثين ثم اتسعت لتشمل الأدباء والمؤرخين[1].

ولقد بدا كتاب السيرة تدوين الأحداث من المدينة المنورة بوصفها دار هجرة الرسول ﷺ ومركز أول حكومة أقامها ومنها نظم غزواته: (بدر) و(أحد) و(مؤته) و(خيبر) وأقام فيها صحابته ولقد اشتهرت مكة المكرمة فيما بعد كمركز لكتاب السيرة والمغازي، اشتهر من هذه عروة بن الزبير بن العوام (ت ٤٤هـ/٦٦٤م) أمه أسماء بنت أبي بكر، كان زاهداً في الدنيا ومحباً للعلم والدرس ولقد زار مصر والشام وأول من وضع كتاباً عن المغازي، أصبح من الفقهاء الذين ابتعدوا عن الحياة السياسية فلجأ إليهم خلفاء من بني أمية للمشورة والنصيحة.

أما المصادر التي اعتمد عليها فتشمل القرآن الكريم ووثائق مختلفة مثل خطابات الرسول ﷺ التي أرسلها لبعض الجهات مثل رسالة إلى عبد الله بن جحش

---

(١) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص٨٨.

وزرعه بن ذي يزن وبعض الرسائل التي خطها الخلفاء[1]. فجاء سنده علمياً اقرب إلى الواقع ولقد وردت مقتطفات من كتب عروة في مؤلفات الطبري والواقدي وابن كثير. تناول عروة موضوعات مثل البعثة ونزول الوحي وبداية الدعوة والهجرة إلى الحبشة وأسبابها وازدياد مقاومة قريش للدعوة وموقعه بدر وفتح مكة والقادسية واليرموك ورسائل الرسول ﷺ إلى بعض القادة والفترة الأخيرة من حياة الرسول ﷺ.

برز شرحبيل بن سعد(من موالي الأنصار) (ت ١٢٣هـ) وهو من المدينة وقد التزم مثل عروة منهج الحديث في التدوين ولم يكن قد تبلور منهج واضح للسيرة بل ظلت فرع من علم الحديث والمادة التاريخية المضمنة فيها عبارة عن قوائم من اشترك في بدر واحد وأسماء المهاجرين إلى الحبشة والمهاجرين من مكة إلى المدينة ، ثم يأتي بعد هؤلاء عبد الله بن أبي بكر بن حزم الأنصاري (ت ١٢٠هـ) وعاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري.

ثم جاء محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري (١٢٤هـ) الذي لقب بعالم الحجاز والشام ويعتبر أول من رسم خطوط تاريخ السيرة بتكليف من الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وربما أول من استخدم هذا المصطلح عندما قام بجمع أحاديث الرسول ﷺ وأقوال الصحابة في المدينة وقد ساعدته ذاكرته القوية ليكتب كل ما سمع من أحاديث فكتب عن المغازي

---

(١) وجدت رسالة عن موقعه بدر وأخرى عن عبد الله بن مروان والثالثة عن فتح مكة. يضع قاسم عبده قاسم عثمان بن عثمان (ت١٠٥هـ) مع عروه ويعتبر ان أول من دون مجموعة من المغازي.

وأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبار قريش والأنصار فجمع بين كونه فقيهاً ومحدثاً ومؤرخا، له من الكتب "كتاب المغازي" وكتاب الزهريات[1].

أما محمد بن اسحق بن يسار (ت ١٢٥هـ) فقد درس الحديث وسافر إلى مصر ثم عاد إلى المدينة وألف كتاباً من ثلاثة أجزاء، قام عبد الله بن هشام الحميري باختصاره وظهر باسم سيرة ابن هشام وقد كان من تلاميذ ابن اسحق، قد ظهر أيضاً محمد بن عمر بن واقد(٢٠٧هـ) تعلم على يد شيوخ عصره ولقد ذكر ابن النديم في الفهرست أن للواقدي ٨٠ كتاباً ضاعت كلها ما عدا كتاب الفتوح وكتاب المغازي الذي اقتبس منه الطبري. من تلاميذ الواقدي محمد بن سعد (١٦٨هـ- ٢٣٠هـ) تحرى الدقة والأمانة في نقل الخبر، وضع كتاب الطبقات الكبرى والطبقات الصغرى و تابع أخبار النبي صلى الله عليه وسلم منذ البعثة ثم أخبار الصحابة وفي الطبقات الكبرى تراجم لمن اشتركوا في موقعه بدر.

عند قيام الحركات الانفصالية في العصر العباسي لم تعد هناك وحدة سياسية تجمع الدولة الإسلامية بل قامت دويلات في المشرق والمغرب يحكمها ولاة من أجناس مختلفة فتبع الانقسام السياسي انقساماً ثقافياً زاد من حدته الانقسام المذهبي بين السنة والشيعة. لم تعد عاصمة الخلافة هي مركز الحياة الثقافية والعلمية بل تعددت المراكز لتشمل دمشق وحلب وأصفهان والقيروان وقرطبة ومن ثم بدا

---

(١) أسنان الخلفاء- رصد لأعمال الخلفاء عند الوفاة وتاريخها ومدة ولا يتهم كتاب - المغازي جاء باسم مشاهد النبي ﷺ.

الاهتمام بالتواريخ المحلية ، فكتب ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) فتوح مصر والمغرب ، وابن عزاري البيان المضرب في أخبار المغرب ، و الكندي(ت٣٥٠هـ) ولاة مصر قضاتها ، والخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) تاريخ بغداد وقد ضمنه تراجم لعلمائها وزهادها ، وابن عساكر(ت٥٧١هـ) تاريخ دمشق وإعلامها.

ولقد أدرك المؤرخون ترابط التاريخ فرغم ظهور التواريخ المحلية فقد ظهرت مؤلفات في التاريخ العام فكتبوا عن أخبار جزيرة العرب والشام وغيرها. زاد اهتمامهم خلال هذه الفترة بالوثائق الرسمية كمصدر للتاريخ فاستخدموا الرسائل والمعاهدات وبدا بعضهم يورد الروايات المتعارضة مما يعني بداية نقدية في التأليف التاريخي ، قد اشتملت موضوعاتها الردة ، الفتوحات ، الشورى ، الفتنة والخلافات بين العلويين والأمويين وهي القضايا التي كانت تشغل بال المسلمين.

أهم المؤلفات كتاب المعارف(ت٢٧٠هـ) لابن قتيبة عبارة عن تاريخ شامل ولكنه موجز للعالم بينما يظهر التأثير الفارسي في الكتاب الثاني الأخبار الطوال وكتاب البلاذري (ت٢٧٩هـ) فتوح البلدان وانساب الإشراف ركز على دور المسلم في الجهاد في الأول ، وفي الثاني تناول الأرستقراطية العربية. ثم ألف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ) تاريخ الرسل "أو الأمم والملوك ويعتبر من أهم مصادر التاريخ الإسلامي وقد استعان بالتاريخ لتفسير القرآن الكريم. يعتبر بداية لمرحلة جديدة ولقد كتبه على نظام الحوليات ابتداء من سيدنا آدم حتى البعثة النبوية واتخذ من السجلات والوثائق مصدراً للتاريخ فأصبح نموذجاً للكتابة التاريخية واعتمد المؤرخون فيما بعد عليه بشكل كبير.

أما الطائفة الثانية من المؤرخين فتضم المسعودي (ت٣٤٦هـ) الذي واصل من حيث انتهى الطبري فكتب مروج الذهب ومعادن الجوهر وأخبار الزمان والتنبيه والإشراف ، وقد تخلص من قيد الحوليات التي التزم بها الطبري ، اهتم المسعودي بالموضوع فكتب عن تاريخ الهند والصين والأتراك.

ثم ظهر نمط آخر من الكتابة التاريخية متمثلاً في الرسائل التي تعالج موضوعاً واحداً فكتب تقي الدين المقريزي "إغاثة الأمة بكشف الغمة" الذي يعتبر من أول المؤلفات التي عالجت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية بدلاً من التركيز على الحكام والسلاطين وحروبهم وانتصاراتهم ، كتب أيضاً ابن النقاش" المذمة في استخدام أهل الذمة" حول استخدام اليهود في جهاز الدولة ، وكتب السيوطي وابن إياس وابن حجر العسقلاني رسائل في موضوعات محددة منها فضل الجهاد أثناء الغزو الصليبي.ثم هناك ابن مسكوية(ت٤٢١هـ) الذي تميز بالتروي في الأحداث والوصول إلى جوهرها فكتب "تجارب الأمم" . أما اشهر كتب القرن السابع الهجري فهو كتاب ابن الأثير(ت٦٣٠هـ) الكامل في التاريخ ، ثم وضع ياقوت الحموي (ت ٦٣٦هـ) معجم الأدباء وأبو الفداء (٧٢٣هـ) المختصر في أخبار البشر.

:

تعرض العالم الإسلامي لهجمات الطامعين فجاء الغزو الصليبي في القرن الخامس والسادس الهجري وغار التتر على عاصمة الخلافة العباسية مما أدى إلى انهيار المؤسسة الاقتصادية والسياسية.

تأثرت الكتابة التاريخية بهذه الأحداث ، فبدأ يظهر في السير الملكية التركيز على صفات البطولة والجهاد والمجاهدين فظهر كتاب ابن شداد " المحاسن اليوسفية والنوادر السلطانية" عن صلاح الدين الأيوبي. استمر هذا اللون في عصر المماليك واشتهرت مؤلفات مثل "وفيات الأعيان وأنباء أخر الزمان" لابن خلكان (ت٦٨١هـ)

ثم حدث رد فعل على مستوى آخر عندما شرع المؤرخون في جمع التراث العربي الإسلامي وحفظه في مؤلف واحد خوفا عليه من الضياع والتدهور بسبب الإحداث المضطربة ، وكانت بداية صدور هذه المؤلفات في عصر المماليك. عندما دخل العالم الإسلامي حالة الركود ظهرت مؤلفات مثل نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ومسالك الأبصار للعمري وكتاب القلقشندي "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء".

ثم قامت ممالك الطوائف عندما انقسمت الخلافة الأموية في الأندلس إلى وحدات لم تلبث أن تعرضت للانهيار الواحدة تلو الأخرى حتى تمكن الأسبان من القضاء على أخرها وهي دولة بني الأحمر في غرناطة في عام ١٤٩٢م.

هذه الأحداث التي عصفت بالدولة الإسلامية دفعت المؤرخين للتأمل فيما وصلت إليهم أمتهم ، فتناولوا بالتفصيل والتفسير عوامل قيام الدول وأسباب ازدهارها وسقوطها. أدى هذا إلى خروج المؤرخين عما كان مألوفاً في الكتابة التاريخية أي سرد الأحداث منسوبة إلى مصدرها ، فأصبح المؤرخ يقف موقفاً فلسفياً من الحدث ليصل إلى سببه ويحلل ما ترتب عليه من نتائج. اعتبر هذا من أهم التطورات التي ألمت بعلم التاريخ فأصبح ينظر له كعلم له أصول

وقواعد في كتابته وقد كان ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد) (ت٨٠٨هـ) أول من اتخذ منهجاً في كتابه التاريخ وأشار إلى أخطاء المؤرخين السابقين وحذر من النقل منهم دون مراعاة أصول البحث العلمي ولهذا جاء فضل ابن خلدون على الكتابة التاريخية عظيماً، ساعدته ظروف عمله في عدة مناصب في الدولة وتنقله بين تونس والمغرب ومصر إلى اكتسابه خبرة في معرفة دقيقة بأحوال بلاد المسلمين إضافة إلى ما أحدثته دراسته في الأزهر الشريف من تأثير معرفي عميق بالأسس الفكرية والثقافية للعالم الإسلامي وحضارته.

ألف ابن خلدون كتاباً باسم"العبر وديوان المبتدأ والخبر" وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام: المقدمة: وهي تتناول الأصول العامة لكتابة التاريخ، القسم الثاني: يتناول تاريخ الشعوب العربية والأمم المجاورة، القسم الثالث: يتناول تاريخ البربر وشمال إفريقيا، لقد ترجمت المقدمة لعدة لغات توجد نسخة منها بدار الكتب المصرية عليها تصحيحات بقلم ابن خلدون نفسه كما توجد نسخة في المغرب موقعه باسمه.

ومن ابرز المؤرخين الذين حذوا حذو ابن خلدون السخاوي (ت٩٠٢هـ) الذي ألف كتاب الإعلان" بالتوبيخ لمن ذم التاريخ" وتناول فيه أهمية التاريخ وفصله.

:

١) الاهتمام بالإسناد بسبب العلاقة التي نشأت بين التاريخ وعلوم الحديث، فكتاب السيرة يجمعون الروايات وينسبونها إلى مصدرها الأصلي وهو

شخص له مواصفات معينة: عدل، علم بالرواية، شاهد عيان مثلاً أو اشترك بها أو أخذها من مصدرها الأصلي أو من أهل البادية وذلك بالنسبة لأحداث ماقبل الإسلام. أساس النقد الراوي وليس الرواية (الجرح والتعديل). كانت وسيلة سليمة لضمان صحة أخبار السيرة والدولة الإسلامية لكنها لم تضمن صحة روايات قبل الإسلام وبداية العهد النبوي.

٢) الاهتمام بالسند المتصل: كتاب الأصنام تتصل روايته عن ابن الكلبي (٢٠١ هـ) حتى حوالي ٥٠٠ هـ وكذلك الواقدي.

٣) استخدام طريقة العرض الموضوعي أي ترتيب الأحداث حسب الموضوعات مثل كتب الحديث، فهنالك باب الرسائل، باب الكتب، .. الخ.

٤) استخدام الترتيب الحولي أي أحداث كل عام مع مقدمة في التاريخ العام منذ بداية الخليقة، وأول من اتبع نظام الحوليات هو الهيثم بن عدي ثم الواقدي وبعدهما الطبري وابن مسكوية وابن الأثير.

٥) الأخذ أحياناً بأسلوب عرض ولاية الخليفة من بدايتها حتى نهايتها مثل كتب اليعقوبي والمسعودي وابن خلدون، وهنالك مزج بين هذه الأساليب الثلاثة.

٦) حرص مؤرخو الإسلام على استخدام أسلوب عربي سهل وواضح وخال من المحسنات البديعية والسجع.

٧) لقد ثبت أن المؤرخين المسلمين هم أول من صنف التاريخ كعلم بواسطة عبد الرحمن بن خلدون.

٨) التقويم الهجري.

لم يكن لدى العرب قبل الإسلام تقويماً يدونون به الأحداث بل كانوا يستخدمون الحوادث الهامة لمعرفة الزمن فيؤرخون بها مثل بناء الكعبة أو عام الفيل أو الطوفان أو بالحروب المشهورة مثل حرب البسوس أو يوم ذي قار.

أما بعد الإسلام فقد بدأوا يؤرخون ببعض الأحداث أيضاً فأطلقوا على كل سنة اسم حادث معين: فالسنة الأولى لإقامة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة سميت الإذن بالرحيل والسنة الثانية سنة الأمر بالقتال وهكذا، لقد كان تاريخ الأحداث أمراً معروفاً لدى بعض ولاة الإسلام حتى أن أبا موسى الأشعري والي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في البصرة كتب يقول له"يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ"، يقال أن عمراً رضي الله عنه جمع الصحابة وطلب منهم البحث في كيفية وضع أسلوب يساعد في ضبط الأموال وصرفها إذ أن احدهم رفع إليه وثيقة وكتب عليها شعبان فقال عمر أي شعبان؟ الماضي أم الذي نحن فيه أم القادم؟ ورأى ضرورة وضع تقويم محدد وثابت يعرفه كل الناس ويستخدمونه في معاملاتهم، ذكر أن رجلا من اليمن قال له أن في اليمن شيئاً يسمونه التاريخ يكتبونه في عام كذا وشهر كذا. كما أن حاكم الأهواز الفارسي شرح لعمر حساب الأعاجم الذي يستخدمونه ويسندوه إلى عظام الأكاسرة، وقال اليهود أن لنا تقويم نسنده إلى الاسكندر فاستبعد هذا لتعقيده فاقترح آخرون أن يكتب على تقويم الفرس فاعترض عمر لأن تقويم الفرس لا يستند على مبدأ معين بل كلما قام ملك جديد يترك الحساب القديم لتبدأ سنة

جديدة، واقترح عبد الرحمن بن عوف أن تكون البداية شهر رجب لأنه أول الأشهر الحرم ،واقترح غيره رمضان أو مولد النبي ﷺ أو البعثة أو وفاة النبي ﷺ إلا انه قامت جملة اعتراضات على هذه البدايات، فالمولد والبعثة لايخلوان من خلاف تحديد السنة، في حين أن الوفاة تذكر الناس دائماً بالأسف عليه ﷺ، عندئذ اقترح عثمان بن عفان رضي الله عنه أن يبدأ التاريخ بالهجرة لان وقتها لا خلاف عليه ولأن الهجرة ميزت بين الحق والباطل وهو وقت الاستقامة وظهور المسلمين مما يجعل له وقعاً عظيماً في نفوس المسلمين، أشار عمر وعثمان رضي الله عنهما أن تكون البداية في شهر محرم وهو أول السنة وشهر حرام وعودة الناس من الحج وفيه يكسى البيت الحرام. هكذا تم الاتفاق في عام ٦٢٢م أن يبدأ التاريخ الإسلامي من الهجرة وشهر محرم رغم أن الهجرة وقعت في ربيع الأول إلا أن العزم عليها كان في محرم ووقعت البيعة في ذي الحجة وكان هلال محرم أول هلال استهل بعد البيعة فأصبح العام الأول من الهجرة هو عام ٦٢٢م.

الفصل السادس
مصادر التاريخ

الفصل السادس
مصادر التاريخ

تحتاج الكتابة التاريخية لمصادر يستقي منها المؤرخ معلوماته فهو لايكتب من خيال بل يلجأ إلى عدة أوعية متنوعة تحمل معلومات على درجات متفاوتة من الأهمية، ولهذا قسم المؤرخون المصادر إلى فئات منها: من الدرجة الأولى مصدر(Sours) ومن الدرجة الثانية مرجع (Reference). إلا أن هذه قد تكون نسبية حسب موضوع البحث، فالمؤرخ يعتبر دائماً السجلات الرسمية والتقارير الحكومية هي مصادر من الدرجة الأولى، تضم هذه عقود الإيجارات، وقوائم الضرائب، وسجلات الأراضي.. الخ. فالمؤرخ عندما يستخدم هذه فهو على يقين بأن ما جاء فيها مطابقاً للحقيقة، فموظف الجمارك ليست له مصلحة في تعديل الأرقام مثلاً أو ضابط السجلات في الأراضي يكتب الأسماء وحجم الحيازات كما هي وكذلك أسماء المواليد والوفيات... الخ، فهو لا يتحيز أو يحاول كسب مصلحة معينة، بل يسجل الحقيقة كما هي، هذه معلومات قد يستخدمها المؤرخ في أبحاث اقتصادية اجتماعية متنوعة، كما أن هناك وثائق تتعلق بالوصايا التي يتركها أشخاص لعبوا دوراً في الحياة السياسية ويمكن التعرف على ممتلكاتهم وقد كتبوا الوصايا لإثبات حق قانوني، ينطبق هذا على القوائم التي تصدرها الوزارات بخصوص

أسعار سلع معينة أو السلع المستوردة أو الترخيص الذي يمنح للشركات أو الأفراد فمثل هذه الوثائق لم يقصد كاتبوها أن تكون شاهد على التاريخ أو يستمد منها معلومات تاريخية فربما كشفوا فيها بعض المعلومات السرية[1] ، هناك بعض الرسائل الخاصة المتبادلة بين أشخاص كانوا في السلطة فهم يعبرون في هذه عن آرائهم الشخصية التي لا تظهر في التصريحات العلنية وبالتالي يمكن أن يستفيد المؤرخ من هذه الخطابات في تشكيل صورة واضحة عن أحداث معينة ، نجد كثيراً من الساسة يضعون هذه الأوراق في دور الأرشيف ليستفيد منها الباحثون بعد انقضاء القيد الزمني.

ولقد استخدمت كلمة وثيقة لتشمل هذه الطائفة من التقارير والأوامر القضائية والتعليمات والسجلات ، كلمة وثيقة ترجمت للإنجليزية **Document** مشتقة من اللاتينية **Decree** بمعنى يعلم.

ولابد للمؤرخ الذي يريد أن يكتب شيئاً جديداً أن يبحث عن الوثائق ليعتمد عليها ، بل أن البحث التاريخي الذي لا يعتمد على الوثائق تنقص قيمته ،و أحياناً لا يعتبر تاريخاً إذ حيث لا توجد وثائق ينعدم التاريخ حسب قول المؤرخ الفرنسي "لأنجلو".

ثم إن الوثيقة لا تعني ما هو مكتوب على الورق ، بل هي كل مادونه الإنسان على أي شيء: العظم أو الطين غير الناضج أو الجلد أو البردي أو الخشب.

استخدم السوريون الطين غير الناضج كمادة للكتابة وكانت أول الكتب التي عرفها الإنسان عبارة عن قطع صغيرة من الطين يستطيع الكاتب أن يحملها معه.

---

١ - عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، المدخل إلى علم التاريخ ، دار المريخ ، الرياض ، ١٤٠٥/١٩٨٤ ، ص٣٩.

وقد ترك البابليون الذين استخدموا الطين أيضاً قانون حمو رابي مكتوباً على مثل هذه الألواح وهو محفوظ الآن في متحف اللوفر بباريس ثم أصبح ورق البردي هو المادة السائدة في الكتابة حتى ١٠٢٢م فاستخدم الإغريق البردي والرق وبدأت تتخذ الكتب شكل لفافات تشبه الكتاب الحالي.

جاء غزو البرابرة وانهيار الإمبراطورية الرومانية ليحمل معه عصر الفنون والآداب الكلاسيكية وضاعت كثير من المخطوطات إلا ما تمكن رجال الدين من الاحتفاظ بها في الأديرة والكنائس. في القرن السادس أصبحت هذه مراكز الدراسات وبدأت حركة نشطة لنسخ المخطوطات خاصة في ايرلندة. عند مجيء شارلمان (٧٦٨- ٨١٤م) شجع العلماء والأدباء وأنشأ مدرسة البلاط ودعا الأساتذة للتدريس فيها فنشطت حركة النسخ بواسطة الرهبان والعلماء وأصبحت هذه المصدر الأساسي للمعلومات عن العالم القديم.

استخدم الناسخ الرق المجفف وأقلام مصنوعة من ريش الطيور ولقد عرفوا الحبر واستخدموا ألوان مختلفة منه ومن الطبيعي أن تكون مكتبات الأديرة صغيرة بسبب صعوبة نسخ كميات كبيرة من المخطوطات كما أن الكتب كانت غالية الثمن، فالحصول على نسخة من الإنجيل تكلف ما يعادل حالياً عشرة آلاف دولار.

واكب الازدهار الثقافي في عصر النهضة ظهور الجامعات فأصبحت هذه مركز لنسخ الكتب وأصبح النسخ في حد ذاته علم معترف به يحصل الناسخ على شهادة من الجامعة التي تعمل فيها توضح دقته ومهارته، لقد زاد الإقبال على اقتناء الكتب ولم يكن من السهل تلبيته بواسطة النسخ اليدوي

فبدأ البحث عن طريقة أسرع خاصة أن الورق قد تطور وأصبح متوفراً رخيص الثمن وجيد الصنع. اكتشف الورق في الصين في القرن الثاني الميلادي ولكن استخدامه كان محدوداً فنقله التجار إلى أوروبا في القرن الثامن الميلادي، فاستخدمه المصريون بدلاً عن البردي، ثم استخدمه المسلمون في اسبانيا في القرن الحادي عشر الميلادي، وأنتجه ايطاليا سنة ١٢٧٠م. صاحب هذا اختراع الطباعة بالأحرف المتحركة **Movable types** ولقد تطور هذا إلى أن انتشرت الطباعة وانتهى عهد النسخ. كان الألماني يوحنا جوتنبرج الرائد في هذا المجال طبع أولاً (٤٢سطراً) من الإنجيل وفي ١٧٠٠م أخذ الكتاب شكله الحالي صفحة عنوان واسم المؤلف ورسوم وقائمة ومحتويات.

بعد اكتشاف الطباعة اشتهرت وثائق كثيرة كمصادر للتاريخ منها وثيقة العهد العظيم التي أصدرها الملك يوحنا في انجلترا لصالح النبلاء وأصبحت أساس التطورات الدستورية في تلك البلاد ثم ظهرت المعاهدات والاتفاقيات بين الدول وقرارات المؤتمرات "" الخ.

ولقد أخذت الدول تهتم بالحفاظ على هذه السجلات والوثائق وتحفظها في أماكن أمينة وتضع لها لوائح وقوانين من اجل تسهيل استخدامها بواسطة الباحثين، لقد رأت كثير من الدول تحديد فترة زمنية قبل أن تسمح بالإطلاع على بعض الوثائق المتعلقة بالسياسة الداخلية وأمور الأمن والدفاع والعلاقات الخارجية. بعض هذه تبقى سرية لفترات طويلة إذا كان في هذا مصلحة للدولة والمحافظة على أمنها القومي، أحياناً يسمح للباحثين الإطلاع على الوثائق بعد مرور فترة محددة ما

بين ٣٠- ٥٠ عاماً على أساس أن اغلب الأشخاص المعاصرين لهذه الأحداث يكونوا قد رحلوا أو خرجوا من مناصبهم ولا يكون هناك خوف على الباحث ليتناول ما جاء في هذه الوثائق بحرية تامة.

ولقد أسست فرنسا أول دار للوثائق بعد الثورة الفرنسية في عام ١٧٩٠م تحت اسم الأرشيف القومي الفرنسي واحتفظت فيه بمجموعة من القرارات والوثائق المتعلقة بالجمعية التأسيسية. في بريطانيا تأسست دار الوثائق البريطانية Public Records Office لتضم كل مستندات المملكة في عام ١٨٥٦[1]. أما في الولايات المتحدة الأمريكية فقد تم إنشاء الأرشيف الأمريكي القومي ١٩٣٣م، لقد أسس محمد علي ما عرف بدار المحفوظات المصرية (الدفتر خانه) أصبح اسمها فيما بعد دار الوثائق القومية، في المملكة العربية السعودية تحفظ الوثائق الرسمية في دار الملك عبد العزيز التي تأسست لهذا الغرض في عام ١٩٧٢م. أما السودان فإن وثائق الدولة محفوظة في دار الوثائق القومية التي تأسست عام ١٩٣٠م.

من المهام التي يضطلع بها المؤرخون نشر نصوص لوثائق توفر مصادر لمعلومات تاريخية يستخدمها الباحثون في دراستهم العلمية أو غيرها، من هذه مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة التي جمعها محمد حميد الله الحيدر أبادي ونشره في ١٩٦٩م في بيروت، محمد فؤاد شكري نشر نصوص من التاريخ الحديث المعاصر ونشرت مجموعات كبيرة من أصول التاريخ الأوروبي منها كتاب هيروتز History of Diplomacy in the near east.

---

١ - الشيخ، مرجع سابق، ص٥٧.

لابد أن يدقق المؤرخ في الوثائق ويتأكد أنها أصلية ولم تكتب لأغراض معينة أو جرى تزويرها لتحقيق مصلحة ، من اشهر الوثائق التي تبين أنها مزورة الوثيقة التي عرفت "بهبة قسطنطين" التي ادعى البابوات في القرن التاسع أن الإمبراطور قسطنطين قد كتبها وتنازل بمقتضاها عن السلطة الزمنية للبابا سلفستر الأول(٣٢٥م) وقد أراد البابوات بهذه دعم مراكزهم بسبب الصراع الذي إندلع بين الكنيسة والأمبراطورية حول سمو سلطة الكنيسة ومسائل أخرى ، لكن في عصر النهضة جرى الكشف عن هذه الوثيقة بواسطة المؤرخ الإيطالي لورنزو فالا فاثبت أنها مزورة عندما استخدم أساليب الكشف عن التزوير: نوع الورق والقلم وأسلوب الكتابة ، فهذه لا تعود إلى القرن الرابع (حينما عاش قسطنطين) بل إلى القرن التاسع. كذلك هناك الوثيقة التي قدمها اليهود للخليفة العباسي عام ٤٤٧م وثبت أنها مزورة أيضاً وادعوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم أسقط عنهم الجزية وجاءت فيها أسماء بعض الصحابة ، عرضها الخليفة على المؤرخ الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي فاثبت أنها مزورة ذلك لان معاوية الذي جاء ذكره في الوثيقة اسلم سنة ٨هـ بينما كان فتح خيبر سنة ٧هـ وفيها أيضاً شهادة لسعد بن معاذ وقد مات يوم بني قريظة سنة ٥هـ فكان أن اعتمد الخليفة على هذا الرأي واعتبر الوثيقة مزورة. يحتاج الباحث للإلمام :ببعض النواحي الفنية لعلم الوثائق **Diplomatic** أنواع الورق، الحبر والأقلام المستخدمة على مر العصور ، الآن أصبحت هناك وسائل للكشف عن أجزاء الوثائق غير الواضحة بتعريضها للأشعة الحمراء[1].

١- حامد زيان، المرجع السابق، ص١٥.

يعني بهذا كل مخلفات الماضي من أواني وأدوات زينة وزراعة وغيرها وترجمتها بالإنجليزية Archaeology واصلها يوناني Archaios (قديم) loges علم، تدلنا الآثار على المستوى الحضاري الذي وصل إليه عهد ما رغم أنه علم حديث ظهر مابين ١٨٤٠ - ١٨٧٠م لكنه تطور بشكل منهل ليكشف عن معلومات ثرة في كافة جوانب الحياة عبر العصور[١].

وأهمية الآثار أن مجال التزوير أو التحريف فيها ضئيل بل ما تستنتجه منها هو مطابق للحقيقة لأن صانعها في الغالب ليست له مصلحة في إظهارها بشكل مغايرفالآنية أو أداة الحرث مصنوعة من مادة معينة وشكلها الفني محدد مما يجعل المؤرخ يستنتج مستوى تلك الشعوب المستخدمة لهذه الأنية وتوفر المادة لديهم وتطور الصناعة نفسها وإذا وجدنا مسجداً نستطيع أن نتعرف على ما وصل إليه فن العمارة والمواد المستخدمة في البناء وطريقة التزيين والنقوش وقد نجد اسم الحاكم الذي أمر ببنائه واسم المهندس الذي صممه، بعض هذه المعلومات ذات أهمية بالنسبة للدارس، فمثلاً الباحث في تاريخ الدولة العثمانية يكتشف أن المساجد كانت تزين بعبارات تكتب باللغة العربية مما يدل على اهتمام السلاطين بلغة القرآن الكريم مع أنها ليست لغتهم الأم.

ويلاحظ أن التاريخ القديم يعتمد على الآثار ومخلفات الإنسان ليبني منها وصفاً حضارياً لحياة الشعوب في تلك الأزمنة بسبب عدم وجود مصادر أخرى.

١- نقولا زيادة، المرجع السابق، ص ١٣.

يمكن أن تحسم المعلومات المستمدة من الآثار بشكل كامل بعض الأمور التي يختلف حولها المؤرخون مثلاً حدث خلاف حول زمن الانتهاء من العمل في جامع أحمد بن طولون في القاهرة ولكن أثناء عملية الكشف عن النقوش في المسجد ثم اكتشاف لوحة رخامية أوضحت تاريخ الانتهاء منه.

وهناك أيضاً شواهد القبور التي يمكن أن تمد المؤرخ بمعلومات مهمة: نجد اسم المتوفى وتاريخ وفاته وأحيانا عقيدته ويمكن أن نستنتج منها معلومات إضافية: نوع الحجر ونوع الخط، أحياناً يكتب الخطاط أسمة عليها، قد نجد نقوش وكتابات على أواني وتحف مختلفة يمكن أن تساعد المؤرخ في دراسات عن موضوعات متعددة وقد وجد مثل هذه في بادية الشام وفي أطراف الجزيرة العربية تعود إلى القرن الثاني ق.م.

في كثير من الأحيان يعود المؤرخ إلى الكتابات الأثرية والنقوش إذا صادفته قضية غير واضحة في المصادر المكتوبة أو هناك خلاف حولها والأثر يحسم الأمر بشكل نهائي لان نادراً ما نجد فيه تزوير أو تحريف، لقد قام بعض الباحثين بإصدار مجموعات تضم النقوش التي تم العثور عليها مع شروحات لاماكن وجودها وما تضمنته من معلومات.

أهميتها أنها صادقة غير خاضعة للتحريف أو التزوير وهي وثائق رسمية تستنتج منها معلومات قيمة، اسم الحاكم، تاريخ سك العملة، مستوى الصناعة ونوع المعدن الذي صنعت منه، الشعار وأهميته، مثلاً وجود

النخلة أو المراكب الشراعية أو تعني أهمية هذه بالنسبة للدولة صاحبة العملة، جود عملات في أماكن معينة قد تعني قيام تبادل تجاري. استخدام ألقاب لبعض الحكام يمكن أن يظهر في العملة مثلاً كشف المؤرخون أن عمله ضربت في القاهرة في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون كتب عليها لقب أمير المؤمنين مالم تشير إليه المراجع، علم وجود عمله خاصة بالدولة يستدعى البحث والتقصي، ربما يكون سبب ضعفها أو غير ذلك نجد أن عرب الجاهلية لم يسكوا عمله خاصة بهم بل استخدموا الدينار البيزنطي والدرهم الساساني رغم نشاط تجارتهم الواسع مع الشمال والجنوب. ظلت هذه تستعمل حتى عربها عبد الملك بن مروان ٦٥- ٨٦ هـ لما لها من مؤثرات مسيحية- عليها صليب.. الخ كتب على وجه لا اله إلا الله وعلى الآخر "قل هو الله أحد"[١] (يقال أن معاوية بن أبي سفيان أول من سك عمله تحمل صورته). الدراهم الساسانية تعربت سنة ٧٩هـ كانت اقل قيمة من الدينار ويسكها الأمراء المحليون[٢].

أما الفلس النحاسي فقد سكه عمر بن الخطاب عام ١٧هـ وعليه اسمه. أما النقد الورقي فقد عرفته أوروبا في القرن السادس عشر عنلما ظهر أولا البنكوت في ايطاليا وانجلترا وأصبحت أوراقه مقبولة في التسويات المالية فأصبحت الحكومات تصدر أوراق نقدية، قد عرف المسلمون في آسيا الوسطى للعملة الورقية قبل أوروبا في القرن الثالث عشر وكان يستخدم ورق التوت وعليه ختم وتوقيع والشهادة[٣].

١- الشيخ، المرجع السابق، ص٦٥.

٢- اهتم تقي الدين المقريزي بدراسة دور السكة في التاريخ فافرد لها بحثاً سماه النقود.

٣- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، المرجع السابق، ص٤٤.

وهـي تـشمل الأختـام ، والمعـايير، والأوزان تفيـد في معرفـة أسمـاء الملوك ، ألقابهم ، العقيدة الدينية ، المادة المصنوع منها الختم ، المستوى الفني في ذلك العصر.

استخدم المسلمون في صدر الإسلام الطين المحروق (الفخار) لـصناعة الأختام ، استخدم الأمويون الشمع وكثير من هذه محفوظة في المتاحف العربية ، ولقد أصدر باحثان عراقيان مؤلفاً باسم"الأختام الإسلامية في المتحف العراقي" بغداد ١٩٧٤م.

المعايير والأوزان ما عرف بالصنوج يصدرها ديوان الخراج تفيد هذه في دراسة التاريخ الاقتصادي لمرحلة ما.

وهي التي اهتمت بتسجيل أحداث ومشاهدات تعتبر مصدراً مهماً للتاريخ ، ففي التاريخ الأوروبي ظهر كتاب سترابو(ت١٩ق. م) وهـو رحالـة يوناني ألف كتاب سماه" الجغرافيا" تكلم فيه عن أحوال بلاد العرب وحملات الأباطرة البيزنطيين ضدهم.

وظهر كتاب عرف باسم" المرشد الملاحي في البحر الاريتري" مجهـول المؤلف ولكن يبدو أن كاتبه تاجراً إغريقيا كتب وصفاً لساحل إفريقيا الـشرقي وموانئ البحر الأحمر في القرن الأول الميلادي. في القرن الثالث عشر نشر

ماركو بولو تفاصيل عن رحلته إلى آسيا تحت اسم "بلاد العجائب" كشف فيه عن أحوال تلك البلدان وطرق التجارة فيها.

أما الرحالة الألماني بارث فقد كتب عن شمال إفريقيا خلال ١٨٤٩ - ١٨٥٥م تضمنت كتبه بعض المخطوطات والوثائق العربية في كتاب من جزئين (Trnavels and Discoveris in North and central Africa).

أما بالنسبة للتاريخ الإسلامي فهناك عدد من المؤلفات لكبار المؤرخين والرحالة منها :-

١) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ) مروج الذهب ومعادن الجوهر ، سافر شرقاً حتى الصين وغرباً حتى الصحراء الكبرى.

٢) ابن حوقل(ابو القاسم محمد البغدادي) زار إفريقيا وسواحل البحر الأحمر ، والصين والهند ، وكتب المسالك وصورة الأرض.

٣) الإدريسي(محمد بن عبد العزيز الشريف ت٥٦٦هـ) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق في القرن السادس.

٤)اليعقوبي ، (احمد بن يعقوب ت٢٨٤هـ) كتاب البلدان ، كتب عن رحلاته إلى أرمينيا والهند ومصر والمغرب.

٥)البكري(عبد الله بن عبد العزيز ت٤٨٧هـ) رحاله من الأندلس عاش في القرن الخامس الهجري كتب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع.

٦)ابن جبير(محمد بن احمد ت٦١٤هـ) وصف الطريق الذي سلكه من غرناطه حتى الحجاز لأداء الحج ، في كتاب باسم رحلة ابن جبير.

٧)ابـن بطوطـة(٧٠٤- ٧٧٩هـ) قـام بـثلاث رحـلات شملـت إفريقيـا - الحجاز- غرب إفريقيا- الـصين طبعـت تحـت اسـم رحلـة ابـن بطوطـة عنوانها الأصلي تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار.

٨) الحسن بـن الـوزان(ليـو الإفريقـي) **Leo African** كتـب رحلـة في إفريقيـا بالإيطالية ثم ترجمت للإنجليزية سنة ١٦٠٠م وصدرت طبعه عربيـة تحت اسم وصف إفريقيا.

علينا أن ندقق فيما كتبه هـؤلاء الرحالـة ولا نأخـذ كـل مـا جـاء بهـا مسلماً به فهي تمدنا بـذخيرة هائلـة مـن المعلومـات التاريخيـة ولكـن علينـا أن نستبعد ما هو غير منطقي.

الرحالة الأوروبيون كتبوا كثيراً عن العـالم خـارج أوروبـا لكـن أحيانـاً لهم دوافع سياسية واستعمارية ، بعضهم ممـول بواسـطة جمعيـات تنـصيرية ممـا يعني أحياناً عدم نزاهتهم فيما يسجلونه مـن أحـداث وروايـات ، نجـد مـثلاً الرحالـة بوكارت الذي ادعى الإسلام في أول القرن التاسع عـشر وكتـب عـن الجزيـرة العربيـة ولكنه ظل مسيحياً واعتلى سده البطريركية الرومانيـة الكاثوليكيـة تحـت اسـم بطـرس الجريجوري.

وهناك مؤلفـات كـثيرة ارتبطـت بالنـشاط الاسـتعماري في إفريقيـا مثـل كتـب جـيس بـروس وسـبيك وغرانـت وصـمويل بيكـر ولفنجستون وغيرهـا ،

فعلينا أن نأخذها بحذر لأنهم اعتمدوا في كتابتهم على الروايات الشفوية التي عليها الكثير من المآخذ كما أنهم كانوا غرباء عن المنطقة ولهذا جاء فهمهم قاصراً بالنسبة للكثير من العادات والتقاليد التي كتبوا عنها.

تشمل الماجستير والدكتوراه، الدبلومات أحياناً وقيمتها في أنها موثقة تكتب على أساس صحيح علمي تحت إشراف اساتذه متخصصين ولهذا تأتي في أول قائمة المراجع.

المخطوط أحياناً يكون على درجة من الأهمية، وإذا لم يكشف عنه من قبل يستخدم موضوعاً لرسالة ماجستير أو دكتوراه لكن هذا يعتمد على نوع المخطوط، مؤلفه صدقه مادته... الخ، لكن أحياناً لا يكون للمخطوط قيمة إذ أن صاحبه لم يطبعه لسبب أو آخر أو ربما كتبه قبل انتشار الطباعة فكان أن انتشر النسخ في أوروبا فيتولى عدة نساخ المشاركة في كتابه مخطوطة واحدة إلا أننا لانجد هذه الظاهرة بشكل واضح في التاريخ الإسلامي بسبب توفر الناسخين، ان كان تاريخ دمشق (ابن عساكر) قام بنسخه عشرة من الخطاطين أكملوا المهمة في عامين وهو ثمانين مجلداً.

لم تعرف المخطوطات كثيراً في صدر الإسلام ولم نجد إشارة إلى هذه في المؤلفات التي حصرت التراث الفكري مثل الفهرست لابن النديم، والسبب يعود إلى أن العرب فضلوا الرواية على التدوين، والرواية تعني التعلم عن طريقها كما كان يفضل فلاسفة الإغريق. ثم جاءت رغبة الرسول ﷺ بعدم التدوين إلا للقران الكريم حتى لايختلط أي شيء معه. لكن المسلمين اهتموا بالكتابة حتى أنه بعد غزوة بدر يستطيع الأسير أن يفدي نفسه بتعليم عشرة من المسلمين الكتابة، كان زيد بن ثابت كاتب رسول الله ﷺ احد هؤلاء الذين علمهم الأسرى، أبي بن كعب أول من كتب له من الأنصار، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح أول من كتب له من قريش(كان للرسول ﷺ أربعون كاتباً).

قبل استخدام المخطوط كمرجع في التاريخ لابد من التأكد من صحته بالأساليب التالية: -

١) التأكد من أن المعلومات الواردة في المخطوط لا تتناقض مع ماهو معروف وثابت تاريخياً، مثلاً وجد مخطوط منسوب للجاحظ ولكن المؤلف أورد معلومات عن كافور الاخشيدي الذي عاش بعد الجاحظ مما يعني أن المخطوط مدسوس على الجاحظ.

٢) مقارنة أسلوب الكاتب في المخطوط مع مؤلفاته الأخرى والتأكد من اتساق منهجيته وتعابيره وربما المجال الذي تخصص فيه.

٣) التأكد من نوع الورق المستخدم، نوع الحبر، القلم، فإذا وجدنا مخطوط كتب على الورق قبل القرن الثامن مثلاً فلابد من التحقق من صدقه.

٤) استخدام تعابير معينة وأساليب في الكتابة قد تساعد في كشف التزوير: مثلاً بداية الرسالة بعبارة معينة، الإكثار من عبارات التحية والمجاملة، وضع مقدمة للرسالة.. الخ.

٥) خط المخطوط قد يساعد في التأكد من حقيقته ونسبته إلى عصر أو مكان محدد، فالخط المشرقي يختلف عن المغربي ثم أن استخدام الأرقام يدل أحياناً على موطن المخطوط فالمغاربة يستخدمون الأرقام العربية وسكان الشرق يستخدمون الأرقام الهندية.

أما بالنسبة للكتاب المطبوع فأول خطوه في تقييمه قبل استخدامه التعرف على مؤلفه، ما علاقته بموضوع الكتاب؟ هل كان شاهد عيان لأحداثه أم اشترك فيها؟ ماهي حدود دوره؟ وهل كان له مذهب سياسي؟ وما هو معتقده الديني؟

فإذا كان شاهد عيان هل كتب المؤلف بعد الأحداث مباشرة؟ هل كتبها من ذاكرته أم جمعه من الوثائق؟ هل مؤهل علمياً في موضوع بحثه؟ وهل لديه مصلحة ما في كتابه هذا البحث؟ فلابد من جمع معلومات كاملة عن شخصية المؤلف قبل أن نستخدم الكتاب لنتأكد أن معلوماته مطابقة للحقيقة ونتيقن أن المؤلف شخص مؤهل ليس له غرض سياسي أو ديني أو أي مصلحة، لكن إذا ثبت أنه يهودي مثلاً كتب عن الشريعة الإسلامية أو هو مستشرق أرسلته جمعية تنصير ليكتب عن الأوضاع في إفريقيا أو قائد عسكري اشترك في الموقعة التي كتب عنها فعلينا في مثل هذه الحالات أن نأخذ هذه الكتب بحذر.

ثم أن الطالب يستطيع أن يحدد قيمة المرجع من حيث تبويبه وتقسيمه إلى فصول ووضع صفحة المحتويات وقائمة المراجع وهوامش دقيقة وملاحق في شكل خرائط وغيرها وأحيانا كشافات أو فهارس للكتاب تحوي أسماء البلدان والأعلام والقبائل.

ظهرت في الغرب وقام بعض المستشرقين الذين درسوا التاريخ الإسلامي بوضع موسوعة التاريخ الإسلامي اشتملت على أبحاث كتبها متخصصين في موضوعات كثيرة وهي تشمل الخطوط العريضة للموضوع مع إشارة لأهم المصادر. صدرت هذه أولا بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ثم العربية. هناك أيضاً المعاجم: لسان العرب، القاموس المحيط، معاجم التراجم Who is Who.

وهي تصدر بشكل دوري: شهرياً أو فصلياً أو سنوياً وتنشر كتابات للعلماء وأساتذة الجامعات والباحثين، أحيانا ما توصلوا إليه من نتائج ودراسات ميدانية في مجالات معينة، ولهذه الدوريات قيمة عظيمة لأنها تصدر بشكل أسرع من الكتب وتضم موضوعات تعرض على لجان التحكيم لإجازتها، وأصبحت قنوات للاتصال وتبادل المعلومات بين الجامعات ومراكز البحوث، كثير من الجامعات وجمعيات التاريخ وأقسامه لها دوريات خاصة بها في الوطن العربي وفي أوروبا، في أمريكا تصدر منذ ١٨٤٣م دورية باسم

دورية للدراسات الشرقية الأمريكية **Journal of American Oriental Studies** ، في لندن تصدر مجلة الجمعية الملكية الآسيوية **Jounal of Royal Asiatic Society** وفي السودان ، السودان في الرسائل ومدونات **SNR**.

• • • • ━━━━ • • ━━ • • ━━ •

تعتبر هذه بالنسبة للوطن العربي ذات أهمية في مجال توفير المعلومات وذلك لضعف حركة التأليف والنشر وقد أصدرت الحملة الفرنسية على مصر ١٧٩٨م أول صحيفة ، وان كانت بالفرنسية "المجلة المصرية" ، وفي ١٨٢٨م صدرت الوقائع المصرية.

في ١٨٤٧ صدرت صحيفة المبشر في الجزائر وفي ١٨٥٨م صدرت في لبنان صحيفة حديقة الأخبار وفي ١٨٦٠م صدرت الرائد التونسي ، وفي ١٨٦٥م صدرت صحيفة سوريا ، في ١٨٦٩م صدرت صحيفة الزوراء في العراق وفي١٨٦٦م في ليبيا صدرت طرابلس الغرب وصنعاء في اليمن والمغرب في المغرب وفي السودان الجازيت في ١٨٩٩م ، ١٩٠٨م في السعودية صحيفة الحجاز، وفي ١٩٢٠م صحيفة الحق يعلو في شرق الأردن ، وفي ١٩٢٨م صحيفة الكويت في الكويت.

هنالك ضوابط لاستخدام الصحف كمصدر أو مرجع للتاريخ فلا ينصح الطالب بالرجوع إلى مقالات الصحف أو الافتتاحية أو صحيفة الرأي أو التعليق أو الأخبار لكن في حالات معينة يمكن أن يلجأ للصحف :

١) إذا أراد أن يتأكد من تواريخ وفيات شخصيات، فغالباً ما نجد إعلانات الوفاة في الصحف.

٢) في الأبحاث الاقتصادية يمكن الرجوع إلى الإعلانات التجارية الخاصة بالسلع المستوردة والمصدرة والرسوم الجمركية... الخ.

٣) قوائم أسعار السلع وأسعار العملات التي تنشر في الصحف يمكن استخدامها في دراسة ذات صلة.

٤) إذا كانت الصحافة نفسها مجالاً للدراسة فيمكن للطالب أن يأتي بنماذج من الصحف، إخراجها وتبويبها ومستواها وإذا كان يدرس ظواهر اجتماعية وثقافية وأدبية ودور الصحافة فيه، في أثناء ثورة ١٨٣٠م في فرنسا وضح التأثير القومي للصحافة عندما قارن احد الدارسين بين مقترحات الصحف للتشكيلات الحكومية وما أقرته الثورة ووضح أن هناك تطابق بين القائمتين.

أما في أوروبا فقد ظهرت الصحافة في ألمانيا أولا إذ صدرت صحيفة NEW ZAITONG في ١٥٠٢م، في ١٦٢٢م في بريطانيا weekly News وفي ايطاليا في ١٥٦٦م، وفي هولندة ١٦١٦م، وفي أمريكا ١٨٣٠م.

الفصل السابع
المهارات المكتسبة والذاتية

الفصل السابع
المهارات المكتسبة والذاتية

يحتاج الباحث في التاريخ لبعض المهارات حتى يستطيع أن يكتب التاريخ بشكل سليم ويجلي كل جوانبه ويتمكن من استخدام مصادره ومراجعه بشكل دقيق ، لقد أطلق المؤرخون على هذه المهارات مصطلح العلوم المساعدة أو الموصلة بمعنى أنها تساعد المؤرخ في أداء مهمته بشكل أفضل ، وصف البعض هذه بأنها دراسات تحضرية لايمكن للمؤرخ مهما كانت مكانته أن يستغني عنها ، وقد بحث المؤرخون هذه القضية منذ سنوات طويلة وبعضهم حددها في " القانون العام والقانون الطبيعي والعلوم الأخلاقية والطبيعية" وقد وصفها آخرون أنها دراسات تؤدي إلى تعليم المؤرخ وحددها المؤرخ دانو Danou بأنها دراسات أدبية وفلسفية وتاريخية. أما الدراسات الأدبية فتشمل روائع الشعر الملحمي- قراءة قصص الأدباء المحدثين- وقراءة الكتب الجيدة في التاريخ : كتب هيرودوت وثيوكيديدس واكسانوفون وبولبيوس ، وتيشوس ليفوس وتاسيت من الرومان ، إضافة إلى كتب ميكافيلي ، وجبون ، أما الفلسفة فيقرأ ويدرس موضوعات تتعلق بالأخلاق والسياسة ويقرأ لهذا الغرض مؤلفات أرسطو وشيشرون إضافة إلى كتب مونتسيكو وروسو ، أما في

التاريخ فطبيعي أن نتعرف على هذا العلم قبل أن نبدأ في الكتابة فيه، فمن يكتب التاريخ لابد أن يكون قد قرأ أحسن كتب التاريخ ودرسها جيداً كونها النموذج، ويمكن إعادة قراءتها لنتعرف على كل ما تضمنته من وقائع وأساليب ومنهج متبع.

ويعتبر الاهتمام بالعلوم المساعدة من الظواهر الحديثة في الكتابة التاريخية فحتى القرن التاسع عشر كان طلاب التاريخ يتلقون دراسات ثقافية بالشكل الذي حدده(دانو). ثم ظهر بنهاية القرن تقريباً أهمية معارف في تخصصات معينة فعندها أدخلت العلوم المساعدة. بدأ الطلاب الذين يدرسون تاريخ الثورة الفرنسية يختارون علم الخطوط كعلم مساعد والجهة الوحيدة التي كانت تقدم وسائل فنية تساعد الباحث في كتابه التاريخ هي مدرسة الوثائق في فرنسا خاصة في مجال تاريخ العصور الوسطى فجاء إعداد الطلاب جيداً بشكل خاص، لقد شملت الدراسة هنا على مدى ثلاثة سنوات: علم الفيلولجيا، علم الخطوط القديمة، علم الآثار، علم التاريخ والقانون في العصور الوسطى.

تدريجياً أدخلت العلوم المساعدة في المناهج الجامعية وبدأ نشر مؤلفات كثيرة عن علوم الخطوط والفيلولجيا سدت فراغاً في المكتبة في هذا النوع من الدراسات.

ولقد جاءت الحاجة للمعارف المختلفة من منطلق أن الكتابة التاريخية تتعرض لموضوعات متنوعة وربما مال البعض للمغالاة في تحديد هذا ليشمل اللغات، معلومات من الفيزياء، الرياضيات بشكل عام يفهمه المتخصص في الدراسات الأدبية وليس علماء الطبيعة، من هؤلاء المغالين المؤرخ الإنجليزي

ادورد فريمان E. A. Free man (١٨٢٣- ١٨٩٢م) الذي طالب المؤرخ بأن يعرف كل شيء: الفلسفة والقانون والمحاسبة وعلم الأجناس والجغرافيا والعلوم الطبيعية لان المؤلف لابد أن يصادف في دراسته عن الماضي مسائل في الفلسفة والقانون فلابدأن يكون مستعداً لمعالجتها. إلا أن هناك من استخف بهذا واعتبر أن التاريخ يكتبه الذين شاركوا في صنعه ولا يهم ما حصلوا عليه من معارف، غير أن هذه النظرية قد تراجعت الآن وأصبحت الحاجة ضرورية لمهارات معينة لمن ينوي الكتابة التاريخية بالشكل الذي حدده المنهج: أي دراسة الوثائق واستخلاص المعلومات منها واثبات صحتها ونقدها وقد وصفت هذه المهارات بأنها تشكل التعليم الفني لكاتب التاريخ، لقد ثبتت صعوبة إلمام الباحث بمهارات متعددة بشكل كامل فكان أن حددت هذه حسب موضوع البحث، فالذي يكتب في التاريخ القديم عليه أن يلم باللغة اللاتينية بشكل عام، والذي يكتب عن عصر الاستنارة يحتاج لمعرفة اللغات الحية: الإنجليزية والفرنسية والألمانية، وربما يركز على واحدة وإلمام عام ببعضها، لقد اعتبر بعض المؤرخين أن فقه اللغة Philology من المهارات التي يجب أن يتزود بها المؤرخ خاصة إذا أراد القيام بدراسة وثائقية ولا يكتفي بتراجم لهذه بل يتعرف على الأسلوب الأصلي للوثيقة ويتأكد من معانيها لان اللغة مثل الكائن الحي تتطور على مر العصور وتتغير ألفاظها ومعانيها فلابد من إدراك الباحث لما هو مقصود بالضبط[1] ولهذا أهمية قصوى بالنسبة للتاريخ القديم والعصور

١- قاسم عبد قاسم، المرجع السابق، ص٤٢.

الوسطى ، وهناك أيضاً أهمية لعلوم الخطوط Paleography فالخط العربي مر بعدة مراحل ، والباحث في التاريخ العثماني يجد الكثير من الوثائق كتبت باللغة التركية بأبجدية عربية فلا بد من أن يلم بتطور الخط العربي مثل الديواني والرقعة حتى يتمكن من فك طلاسم هذه الوثائق ، إضافة إلى خطوط اللغات الشرقية التي يحتاجها الباحث إذا كان يريد أن يكتب في تاريخ الشرق الأدنى القديم أو العصر الكلاسيكي.

*** أهم المعارف التي تعين الباحث في التاريخ تشمل : -**

يأتي تأثير علم الجغرافيا على التاريخ من حيث أنها تمثل الأرض أو المسرح الذي وقعت فيه أحداث التاريخ وهي لهذا من أهم العلوم المساعدة ، كما يقال فإن الجغرافيا تتناول علاقة الإنسان بالمكان بينما يتناول التاريخ علاقته بالزمان. فلكي يكتب المؤرخ في أي موضع عليه أن يلم بجغرافية مكان هذا الحدث ، أين يقع وطبيعة مناخه وموارده الاقتصادية وجيرانه. . . الخ ، ولهذا نجد كل الرسائل الجامعية تضع في التمهيد نبذة عن الموقع الجغرافي لموضوع البحث على افتراض أن القارىء لاتتوفر له معلومات كافية عن هذا الأمر.

ولقد أدرك المؤرخون أهمية الأرض والبيئة منذ أن بدأوا في التدوين التاريخي ، فهيرودوت عند حديثه عن مصر بدأ بوصف أرضها ومساحتها وبيئتها ثم الزراعة والنيل بسبب ادراكه لأهمية هذا في الحضارة والتاريخ.

كذلك أورد يوليوس قيصر في كتابه (الحرب الغالية) (The Gallic War) معلومات جغرافية عن ارض المعارك.

أما المؤرخون المسلمون فقد أدركوا أهمية الأرض بسبب ما أورده القرآن الكريم عن الأرض والبيئة للدلالة على قدرة الله ولتشهد على آياته ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ [الروم: ٢٢].

ثم أشار القرآن الكريم للطبيعة وما بها لخدمة الإنسان ومساعدته في إعمار الأرض ، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۝١٠ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٥ - ١١] ، فهذه دعوة للإنسان ليستفيد من الأرض والبحار والأنهار والشمس لبناء حضارته تلك لان قدرات الإنسان محدودة وليس مثل الحيوان ولا يملك الوسائل الذاتية للدفاع عن نفسه فلابد من استخدام عقله والعيش في مجتمع ، كما أورد ابن خلدون أهمية الاجتماع للإنسان ولهذا تحدث كثيراً عن البيئة والجغرافيا والعمران.

والباحث في التاريخ الاقتصادي يحتاج لمعرفة الطبيعة من ارض ومناخ وكيفية استغلال هذه بواسطة الدولة حتى يتوفر لها ماتريده من ازدهار، ويمكننا أن نفسر ضعف الدولة وقوتها إذا تعرفنا على مواردها ، فدولة فقيرة في الموارد قد تصل إلى مصاف الدول الكبرى إذ اكتشفت فيها معادن ثمينة أو نفط وقد يؤثر وضعها الاقتصادي على مكانتها السياسية والعسكرية وعلاقاتها بشكل عام.

عن طريق الجغرافيا يمكن أن نتوصل إلى تفسير منطقي لبعض الأحداث والمعتقدات ، فقد ذكر أن العربي الذي كان يعيش في الصحراء الحارقة قبل الإسلام اعتقد أن الجن أو العفريت هو نار خالصة بينما يصوره السويدي في شكل عملاق من الجليد. أيضا يمكننا أن نفهم قيمة عقل الإنسان عندما ندرك كيف تمكن من قهر البيئة والسيطرة عليها بدلاً من أن يحدث العكس فقد تمكن الإنسان باستخدام عقله من نحت الصخور وشق الطرق وحفر قنوات الري في أكثر الأراضي مناعة وبنى القلاع والحصون المتينة باستخدام الصخور لحماية نفسه ، كما أنه تخطى الجبال والأنهار والصحاري ليتصل بأجناس أخرى ويقيم معها علاقات أدت إلى تمازج مستمر بين الحضارات.

ولا يخفى اثر الجغرافيا في تقرير مصير الأحداث المهمة وتحويل اتجاهها ، فقد أدى حلول الشتاء للقضاء على جيش نابليون في حملته ضد روسيا سنة ١٨١٢م وتعرض القائد الفرنسي لأول هزيمة له منذ أن ظهر على المسرح السياسي الأوروبي قبل عقد من الزمان وشكلت هذه الهزيمة بداية

النهاية له مما أفسح المجال لأوروبا للدخول في مرحلة جديدة من تاريخها، لقد واجهت قوات هتلر الشتاء الروسي في ١٩٤١م، وحدثت اكبر معركة ابادة شهدتها أوروبا في تاريخها الحديث، عندما قرر الخلفاء الهجوم على ألمانيا في عام ١٩٤٤م كان عامل البيئة مهماً من حيث سرعة الرياح وتوفر ضوء القمر، لقد قاومت كثير من دول العالم الثالث الاستعمار عن طريق استخدام البيئة المحلية وما توفره من غطاء وتمويه، فالمقاومة الليبية نجحت في حربها ضد ايطاليا ١٩١١- ١٩٣٢م عندما استغلت الصحراء الكبرى والتي عجزت القوات الإيطالية عن معرفة أسرارها، ولقد تحصن المناضل عمر المختار بالجبل الأخضر أثناء مقاومته للاستعمار[١]. ثم أن هزيمة أمريكا في فيتنام كان العنصر الأساسي فيها عجز القوات الأمريكية عن ملاحقة الثوار وسط الأدغال الكثيفة التي شكلت المجال الخصب لعمل هؤلاء الثوار.

• ▬▬ •• • ▬▬▬

الإنسان هو مركز التاريخ وحوله تدور كل أحداث التاريخ وظهر الدور الاجتماعي للتاريخ عندما بد الإنسان يسجل إنجازاته حتى قبل اكتشاف الكتابة في شكل رسوم في المعابد والقصور. بعض علماء الاجتماع اعتبروا التاريخ جزء من علم الاجتماع ولا يمكن دراسة التطورات التاريخية دون التعرف على أحوال المجتمع بشكل عام غير أن المؤرخ يهتم بالإنسان كجزء من المجتمع، قد بين ابن خلدون هذه العلاقة بين التاريخ والمجتمع فكثير من أحداث

١- صلاح حسين العاوور، مناهج البحث التاريخي، مكتبة إيهاب ١٤١٨هـ/١٩٩٧، ص ١٥٦.

التاريخ نتجت عن تطور في الحياة الاجتماعية، هناك إذن علاقة جدلية بمعنى كل يؤثر في الأخر.

بداية الإنسان عبارة عن كفاح بينه وبين أعداء ينافسونه وأصبح النشاط الاقتصادي محط اهتمام الإنسان من زراعة وصناعة وتجارة وغيرها، فدراسة هذه الجوانب تكشف عن التطور الحضاري للإنسان منذ القدم، فلابد من أن يلم المؤرخ أو الباحث في التاريخ عن جوانب من علم الاقتصاد حتى يتسنى له فهم هذه التطورات، أحيانا لا نجد تفسير لبعض أحداث التاريخ إلا اقتصادياً، فمثلاً هجرة القبائل العربية من الصحراء إلى الشام والعراق وازدهار بعض الدول وسقوطها، غير أن العامل الاقتصادي ليس هو العامل الوحيد دائماً كما أشار ماركس في نظرية التفسير المادي للتاريخ. نلاحظ مثلاً انهيار دولة المماليك في أول القرن السادس عشر وفشلها في التصدي للعثمانيين كان بسبب ضعفها الاقتصادي بعد أن فقدت ما كانت تجنيه من رسوم وضرائب من التجارة العابرة اثر تحول هذه نحو طريق راس الرجاء الصالح، كما أن الضعف الاقتصادي أصاب جمهوريات جنوه والبندقية مما أدى إلى فقدانها لمكانتها السياسية التي كانت تتمتع بها في أوروبا لعدة قرون سابقة، لكي نفهم حركة التوسع الاستعماري لابد من دراسة أوضاع أوروبا الاقتصادية، فقد اتخذت هذه في البداية سمة الاستعمار التجاري وبعد الثورة الصناعية تحول إلى استعمار رأسمالي وعندما تراكمت الأموال الأوروبية في المستعمرات ظهرت

الحاجة لحماية هذه الأموال عن طريق القوة فاتخذ الاستعمار سمة الاستعمار السياسي ، يمكننا أن نفسر الآن التكالب الأوروبي على الخليج العربي بسبب أوضاعه الاقتصادية والثروة النفطية فيه ، ولكن علينا إلا نبالغ في تأثير العامل الاقتصادي على الحدث التاريخي ، قد يكون واحد من عدة عوامل.

• •• ▬

هناك الكثير من الروايات والأشعار تصف أحداث تاريخية يمكن أن يستفيد منها المؤرخ ولكن عليه أن يتعامل معها بحذر وفي حالة عدم وجود مصادر أخرى حول الموضوع أو من اجل أن يحصل المؤرخ على صورة عامة لحقبة معينة ، أما إذا كان المؤرخ يبحث الاتجاهات الأدبية وتطورها فهو بالتأكيد يدرس المؤلفات الأدبية هذه بعناية ، أحياناً يجد المؤرخ بعض أسماء الأماكن في الروايات والأشعار مثل المعلقات وبعض الكتب الأدبية لها قيمة حقيقة بالنسبة للمؤرخ فكتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني على راس هذه القائمة . إذا أراد المؤرخ أن يكتب عن تاريخ الحركة الأدبية في العصر العباسي أو دراسة لشخصية معينة وإسهاماتها في التاريخ قد تتطلب مثل هذه الموضوعات دراسة الحركة الفكرية والاتجاهات الأدبية السائدة ، كتاب عن تاريخ مصر القديم لابد أن يحتوي على نماذج من الحياة الفكرية ، دراسة ايطاليا في عصر النهضة تستدعي التعرف على أشكال الأدب التي ظهرت ومهدت للنهضة وساهمت فيها. كما أن دراسة الحركة القومية في أوروبا تتطلب دراسة الخلفية الأدبية التي سنبحث فيها ، فمن المعروف أن الحركات القومية تبدأ أولاً بالروايات

والأشعار والقصص التراثي الذي يثير حماس الجمهور مما يهيىء الرأي العام لتحويل الحركة إلى حركة سياسية. كما بدت في (إيطاليا وألمانيا و تركيا)، إذا أردنا أن نفهم مساوىء الثورة الصناعية في بريطانيا فان قراءة مؤلفات شارلز ديكنز تجعلنا نعيش في أجواء تلك المرحلة من حيث سوء البيئة الصناعية واستخدام النساء والأطفال دون تحديد لساعات عمل وتدني الأجور ومنع قيام الاتحادات النقابية. فنحن لانستند على كتب الأدب كمصدر للحقائق التاريخية ولكنها تجعلنا نعيش في الجو العام للموضوع قيد البحث، وقد بدأ الاتجاه للاستفادة من التاريخ في الأدب، فأكثر المؤلفات الأدبية رواجاً هي التي استمدت مادتها من التاريخ مع إضافة لما تتطلبه من حبكة درامية، والأمثلة في هذا لاتحصى سواءً كان في الأدب العربي أو الأوروبي أو الأمريكي.

يحتاج المؤرخ أيضاً إلى معرفة بالفنون المختلفة من رسم وموسيقى وثقافة عامة لفهم كتابات المؤرخين القدامى والغوص في دواخلهم قد يتطلب بعض المعرفة بعلم النفس[1].

إضافة إلى المهارات المكتسبة فالباحث في التاريخ يحتاج لبعض المهارات الذاتية التي يمكن أن ينميها ويطورها إذا كان يرغب في الانخراط في مجال البحث التاريخي بجدية، فهو يحتاج إلى الصبر والتأني لان طبيعة عمله تحتم عليه عدم التعجل للوصول إلى غايته، فهو كمن يبحث في خضم من الأمواج

١- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص٢٨٧.

المتلاطمة عبارة عن ملفات ووثائق وأصول مختلفة عله يجد في زواياها ما يفيده في موضوع بحثه وقد تمضي عدة اشهر قبل أن يحصل على مبتغاة فإذا نفد صبره قد يقرر التخلي عن مشروع البحث والانصراف عن الأمر كلية وهذا أفضل له حتى يبحث عن تخصص آخر. فالباحث في هذا المجال عليه أن يتجنب القنوط والإحباط مهما تعب من البحث والتنقيب في دور المخطوطات والأرشيف فلابد أن يتحقق هدفه بإذن الله.

يحتاج الباحث إلى الدقة والأمانة في عمله وهي صفات في غاية الأهمية للبحث التاريخي فلابد أن يكون على درجة من اليقظة وصفاء الذهن في أثناء عمله بين الأصول التاريخية فالسهو عن كلمة قد تؤدي إلى تغيير كامل في المعنى ويكون الباحث من حيث لايدري قد الحق ضرراً بليغاً بالمعرفة التاريخية ، لابد أن يتحلى الباحث بالأمانة فليس هناك رقيب عليه سوى ضميره ، يطالع المخطوطات والمؤلفات يستطيع أن يأخذ منها ما يشاء ويحذف ما يشاء ولا يوجد من يراجع عمله بشكل كامل ، فالمسؤولية تقع على عاتقه وعليه أن يكون على مستواها فكتابة بحث تاريخي ارث يبقى للأجيال فلابد من الحرص المتناهي لإنجازه.

يتعين على الباحث عدم التحيز لجهة ما وان يعرض وجهات النظر المختلفة بشكل كامل ، فالحياد هنا مطلوب وكذلك النزاهة في إسناد كل حقيقة لمصدرها وكل رأي لصاحبه فإذا نسب آراء لشخصه أو لشخص آخر فهو يفتح لنفسه باباً لا يأتيه منه الخير ومهما اعتقد في إمكانية إخفاء هذا التصرف لابد من أن يظهر.

من الضروري أن ينمي الباحث ملكة النقد والتحقيق فهو لا يكتفي بنقل الحقائق من مصادرها بل يحتاج لتفسيرها وتعليلها مستنداً الى الموضوعية فبحث الظروف والأسباب بدقة لابد أن تفضي إلى نتائج منسجمة مع تلك الأسباب.

على الباحث إلا يقرر رأياً مسبقاً حول موضوع معين لان مثل هذا التصرف يؤدي إلى مزالق خطيرة أولها أن الباحث سيكون انتقائياً في تعامله مع الأصول بما يفقده صفة الحيادية والدقة والأمانة وهي كما رأينا صفات أساسية للمؤرخ. ثم أن تحديد رأي مسبق يفضي إلى نتائج قد لأتكون منسجمة مع المقومات والأسباب مما يعني مزيد من الخلل في الكتابة التاريخية.

يحتاج الباحث إلى تنمية الحس الزمني لديه بمعنى أن يدرك ظروف كل عصر مهما كان بعيداً عنه لأنه يحتاج لمعرفة هذه الظروف لتقييم أي قضية في إطارها الزمني وهو بالتالي لا يصدر حكماً على ظاهرة خارج إطارها الزمني فإذا أخذنا ظاهرة الانكشارية في التاريخ العثماني قد تثير في نفوسنا كل مشاعر الرفض إذا كان قياسنا لها بمفاهيم العصر الحالي لكن إذا نظرنا لها في إطارها الزمني قد نصل إلى إنها ممارسة عادية.

من المهم أن ينمي الباحث مهارة الربط بين أحداث ووقائع التاريخ فعندما يبحث في العلل والمسببات قد تكون هذه موجودة في مناطق أخرى بعيدة عن موقع الحدث ، وكلما زادت الاتصالات والروابط بين أجزاء العالم ظهرت أهمية هذه المهارة ، فقد ذكر أن ما يحدث في الهند يؤثر على أسعار القطن العالمية فإذا لم يتمكن من الربط بين الأحداث قد يفشل في تفسيرها ، فالتاريخ مثل النهر الجاري من الصعب وضع فواصل بين قطاعاته وأجزائه.

على الباحث أن يتحلى بصفة التواضع مهما أوتي من علم فهناك الكثير الذي لا يعلمه وما قول الله تعالى: ﴿رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤] إلا تأكيداً لهذه الحقيقة، فما ينجزه المؤرخ هو قطرة من بحر فعليه أن يبتعد عن التفاخر في إنجازاته أو الادعاء بأنه ملك ناصية العلم. في مجال التاريخ بصفة خاصة هناك دائماً مجالاً للمراجعة فالباحث لا يدعي أبداً انه قال الكلمة النهائية حول أي موضوع فكل قضايا التاريخ تبقى مفتوحة خاضعة للتعديل بسبب طبيعة هذا التخصص، فالكشف عن وثائق جديدة قد يفتح أفاقاً لاحد لها للباحث تجعله يعيد النظر في كم هائل مما اعتبر معرفة تاريخية مؤسسة.

الفصل الثامن
نقد الأُصول التاريخية

الفصل الثامن
نقد الأصول التاريخية

إن وسيلة الباحث لمعرفة وقائع التاريخ عن طريق الوثائق التي يمكن أن تكون مادية مثل تمثال أو معبد أو آنية . . . الخ أو تكون مخطوطة وهذه عبارة عن وصف أو رواية كتبها شخص شاهد الواقعة وهي إذن أثر نفسي لما تركته الواقعة عليه وهي بالتالي ليست لها قيمة الأثر المادي الذي يمكن إثبات صحته عن طريق العلاقة بينه وبين العصر الذي ينتمي إليه بقوانين فيزيائية معروفة. فالباحث عليه أن يفحص هذه الوثيقة أو الأثر النفسي لكي يصل إلى الواقعة التاريخية وخلال هذه العملية لابد له من تمثيل كل الأفعال التي قام بها واضع الوثيقة منذ أن شاهد الواقعة حتى تدوينه الأصل[1].

يبدأ الباحث بالتأكد أن المخطوطة بالشكل الذي كتبها صاحبها وإذا ظهر أنها بليت وتعرضت للتلف عليه أن يحاول ترميمها حتى يمكن الحفاظ عليها ، والبحث في هذا المجال يفضي إذا ما كانت المخطوطة أصلية أو مزورة

١- عبد الرحمن بدوي، النقد التاريخي (تعريب) ص٦٧..

فقد اثبت بعض المؤرخون أن هنالك كثير من المخطوطات مدسوسة وهدف أصحابها لتحقيق مصالح معينة.

إن التقدم الذي طرأ على وسائل الكشف عن الوثائق وضرورة التحري في المعلومات والوقائع التاريخية ساعد في إثبات صحة الوثائق عن طريق فحص الورق والحبر واللغة التي كتبت بها المخطوطة، إذاً يمكننا أن نثبت صحة المخطوطة عن طريق النقد الظاهري لها: هل الورق المستخدم كان معروفاً في تلك الفترة، نوع الحبر هل كان من النوع الشائع، وأساليب الكتابة واللغة هل كانت هذه التعابير والمصطلحات مستخدمة في زمن كتابة المخطوطة؟

ولقد أورد أسد رستم حالة اثبت فيها صحة وثيقة تاريخية. على درجة من الأهمية وذلك عندما ظهرت مشكلة حائط البراق التي ادعى اليهود في عام ١٩٢٩م أحقيتهم له بزعم أن هيكل سليمان شيد أسفله وقد تم تشكيل لجنة دولية للبحث في الأدلة التي يعتمد عليها المسلمون واليهود، فقدم الحاج أمين الحسيني ما لديه من وثائق كان بينها مخطوط فحصه أسد رستم فكتب عنها ما يلي[(١)].

((وثيقة الحاج أمين أفندي الحسيني قطعة من الورق ألصكوكي القديم، يبلغ طولها ٢٧ سنتمترو لا يتجاوز عرضها أل ٢٤ سنتمتر، وهي مكتوبة بالحبر الأسود الاستانبولي وموقعه من محمد شريف حكمدار بر الشام في عهد الحكومة المصرية إلى السيد: احمد أغاذدار متسلم القدس الشريف آنئذ وهي مؤرخة في ٢٣ ربيع الأول ١٢٥٦م الذي يوافق ٢٧ أيار ١٨٤٠م...))،

١- اسد رستم، المرجع السابق، ص١٣.

لكي يثبت أسد رستم صحة هذه الوثيقة فهو يبحثها ظاهرياً وداخلياً، بمعنى أنه يفحص في شكلها الخارجي الذي يتضمن نوع الورق الذي كتبت عليه و نوع الحبر المستخدم والأختام وأساليب الكتابة واللغة، عندما فحص الورق ثبت له انه يتفق في تركيبه الكيميائي مع النوع الذي استخدمته الحكومة المصرية آنذاك في كافة وثائقها ولقد قام بالطبع بفحص عدد منها للتوصل إلى هذه الحقيقة، أما الحبر فقد كان من الصنف الذي يعرف بالاستنابولي وقد حلله للعناصر الأولية لكي يتثبت من هذه المعلومات، كما أن فحص الوثيقة تحت المجهر أوضح نوع القلم المستخدم وقد أثبت أن الخط الذي كتبت به الوثيقة من النوع المستخدم في دواوين الحكومة المصرية. أما الدليل الداخلي الذي اثبت صحة هذه الوثيقة فيتعلق بأسلوب الكتابة الذي كان شائعاً آنذاك إلى جانب وجود أسماء الشخصيات الواردة في الوثيقة وعلاقتهم بها.

ربما يحتاج الباحث أحياناً للرجوع إلى مصادر أخرى معاصرة لإثبات صحة وثيقة ما. فإذا اتبع الباحث هذه الخطوات فإنه يستطيع أن يثبت إذا كانت الوثيقة مزورة أو أصلية.

إلا أن إثبات صحة المخطوطات قد تكون أحيانا عملية على درجة من التعقيد ذلك لأننا يمكن أن نجد أنواع مختلفة من هذه، هناك مخطوط كتبه المؤلف بخط يده ويبقى لنا في شكله نفسه، هناك مخطوط أملاه المؤلف على خطاط فلابد من معرفة ظروف هذا المخطوط بمعنى هناك احتمال أن يكون الخطاط قد بدل بعض الألفاظ لأنها لم تروق له أو لم يفهمها أو لم يسمعها جيداً وبالتالي

يصبح هذه المخطوط اقل قيمة من المخطوط الأول [١]. هناك مخطوط كتبه المؤلف بنفسه ولكن نسخت منه نسخ أخرى، ربما ضاع الأصل وبقيت نسخة واحدة أو ربما عدة نسخ، ففي كل حالة يحتاج الباحث لعمل دقيق لإثبات صحة الاصل.

في الحالة الأولى التي تكون المخطوطة بخط المؤلف نفسه فيمكن إثبات هذه عن طريق دراسة وثائق أخرى لنفس المؤلف ومقارنة أسلوب الكتابة واللغة ونوع الخط، فإذا تأكد الباحث بدرجة كبيرة من صحة الوثيقة فهو يستطيع أن يستخدمها في بحثه أو ينشرها من اجل تعميم الفائدة وفي هذه الحالة عليه أن يكون حريصاً لنشرها كما هي دون إدخال أي تعديل أو تغيير في ألفاظها أو حروفها لان نشرها بالصورة التي وجدت بها في حد ذاته إضافة للمعرفة التاريخية لأنه يكشف لنا عن أساليب الكتابة واللغة والمصطلحات المستخدمة في ذلك العصر. يستطيع الباحث تصويب وشرح بعض الألفاظ في الهامش ووضع إشارات تدل على كلمات مفقودة أو اعتقد إنها مفقودة، ولقد نشر بعض المؤرخين كثيراً من الأصول التاريخية كما هي فأفادتنا كثيراً في معرفة لغة العصر وأساليب الكتابة السائدة.

أما في حالة إملاء المؤلف لناسخ فمن الصعب التعرف على الحقيقة هنا، إذ علينا أن نبحث إذا كان المؤلف قد أعاد قراءة هذه المخطوطة ومراجعتها أم انه اعتمد على الناسخ ففقط ومن الصعب معرفة أي إضافات

١- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص٧٧.

ادخلها الناسخ على المخطوطة إذا كان يعلم أن المؤلف لن يراجعها ، فمثل هذا النوع من المخطوطات يقاوم كل أساليب إثبات صحتها وبالتالي لا يستطيع الباحث أن يستخدمها إلا في حالات الضرورة ، أي عندما لا يجد غيرها.

في حالة ضياع النسخة التي كتبها المؤلف بنفسه وبقاء نسخة واحدة نقلت منها فلابد من معالجتها بكل دقة وحذر إذ أن هناك احتمالات أن الناقل لم يكن دقيقاً في نقله فسقطت بعض العبارات والالفاظ سهواً أو عمداً وربما لم يسمع جيداً أو خط الأصل لم يكن واضحاً [١]. من الصعب معرفة العبارات التي سقطت أثناء عملية النقل هذه وان كان من الممكن معرفة أخطاء السهو عن طريق ارتباك في المعنى أو عدم منطقية المعلومة ، ثم أن بعض النساخ كانوا يقومون بأحداث تغييرات في الأصول التاريخية على اعتبار إنهم يقدمون خدمة للتاريخ بتصحيح بعض العبارات أو الأخطاء التي ارتكبها المؤلف وهم بهذا يلحقون عظيم الضرر بهذه الأصول ، وهذا مسلك شائع لاحظه المؤرخون بين النساخ في كل اللغات وفي جميع الأقطار في كل العصور.

أما في الحالة الثالثة فعندما نجد عدة نسخ لأصل مفقود يواجه الباحث ضرورة معرفة العلاقة بين كل منها والأصل المفقود وبين علاقتها مع بعضها البعض إذ عن طريق هاتين العمليتين يمكن للباحث التعرف على اقرب هذه النسخ للأصل المفقود ، ولقد وضع المؤرخون قواعد عامة للمساعدة في هذه العمليةهي : -

---

١- عبد الرحمن بدوي ، المرجع السابق ، ص٧٩.

أولاً : أن الكثرة العددية لا تعني أن هذه النسخ هي الأقرب إلى الأصل بمعنى إذا وجدنا عشرة نسخ متشابهة وواحدة مختلفة لا يعني أن العشرة هي صحيحة إذ ربما تكون هذه عبارة عن نسخة واحدة مكررة عدة مرات وهنا تظهر أهمية تحديد العلاقة بين النسخ لنعرف أي منها نقل عن الآخر ، يمكن تحديد هذه عند دراسة النسخ واكتشاف الأخطاء المتكررة فيها فلا يمكن أن يورد ناسخ بشكل مستقل عن آخر نفس الأخطاء إلا إذا كانا قد نقلا من نفس النسخة ، هذه دليل على اعتبار أن كل هذه النسخ عبارة عن نسخة واحدة وليست متعددة فيمثلها بواحدة فقط ويبحث عن نسخ مستقلة أي لا توجد بها نفس الأخطاء فتكون لديه مجموعات مستقلة عن بعضها البعض ويحاول أن يقارن بينها لكي يصل إلى ما هو اقرب إلى الأصل المفقود ويمكن أن لا يصل إلى هذه فينشر هذه المجموعات المستقلة مع توضيح جوانب الاختلاف في الهامش. يستعين الباحث لتحديد النسخة الأقرب إلى الأصل بدراسة لعصر المؤلف نفسه وكتبه ومخطوطات أخرى لديه إذا وجدت ، حتى يقارن بينها وبين هذه النسخ لتحديد أيهم اقرب إلى ذلك الأصل المفقود [1].

ثانياً : الأقدمية لا تعني أن النسخة اقرب إلى الأصل المفقود إذ أن نسخة من الأصل كتبت في القرن الحادي عشر قد تكون مليئة بالأخطاء وأحدثت تغييرات في الأصل بينما نجد ناسخ في القرن الخامس عشر عشر على

١- اسد رستم ، المرجع السابق ، ص٣١.

نسخة أخرى ونقل منها بشكل أدق، فالمؤرخون كانوا في الماضي يبحثون عن أقدم نسخة على اعتبار أنها الأصح ولكنهم اكتشفوا خطأ هذه النظرية فالنسخ الأقرب إلى الأصل زمنياً لا تعني اقرب إليه موضوعياً.

•••••••• •• •• •• •• ••••••• •••• •

بعد إثبات صحة الأصل التاريخي يتوجب على الباحث فحص شخصية المؤلف، هل هو فعلاً كاتب هذا الأصل أم أن شخصاً قد عثر عليه ووضع اسم مؤلف مشهور أو كان له غرض ما لتسهيل عملية تسويق الكتاب أم ليشتهر به أو خدمة له؟ يستطيع الباحث أن يكشف ما إذا كان الاسم الموضوع على المخطوطة هو فعلاً مؤلفها عن طريق دراسة لعصر المؤلف وجمع معلومات عنه والتعرف على كتبه الأخرى وأساليب كتابته، أحيانا قد يكتشف الباحث بيسر عملية التزوير هنا، فالمؤرخ عبد السلام هارون وجد مخطوط عليه اسم الجاحظ وعندما فحص محتوياته وجد فيه فصل عن كافور الاخشيدي الذي عاش بعد الجاحظ مما يعني أن الجاحظ ليس واضع هذا المخطوط، يمكن أيضاً إثبات اسم المؤلف عن طريق الفحص المادي للوثيقة من ناحية نوع الورق والحبر والقلم... الخ.

وتحديد شخصية المؤلف أيضاً لها أهميتها في تقييم المعلومات الواردة في الأصل بمعنى أن وصف مسؤول لواقعة معينة قد تكون لها أهميتها إذا قارن هذه بكتابة شخص عادي بعيداً عن الحدث، قد نواجه هنا بقضية كيفية حصول المؤلف على معلوماته ربما يكون شاهد عيان لواقعة ما لكن هل اقتصر

وصفه على ما شاهد أم إنها تضمنت معلومات من مصادر أخرى مما يعني أن أجزاء من المخطوطة هي مصدر من الدرجة الأولى وبعضها من الدرجة الثانية[1]، ومن المهم للباحث معرفة هذه الأجزاء، أحيانا قد يكون الأصل من وضع أكثر من مؤلف فعلينا أن نفحص المعلومات بدقة لمعرفة إذ كان هناك انسجام في الأسلوب وتسلسل في الافكار ام أن هنالك ارتباك في المعنى بسبب وجود خلافات في الفكرة الواحدة. في بعض الأحيان قد يضع مؤلف مخطوطة ويأتي آخرون ليضيفوا لها في أجزاء مختلفة وبمرور الزمن تصبح هذه كأنها جزء من المخطوطة الأصلية فلابد من أن يتقصى الباحث بقدر ما يستطيع في تحديد المخطوطة والإضافات.

ويمكن للباحث أن يجمع معلومات عن شخصية المؤلف من كتب التراجم والمعاجم ودوائر المعارف أو كتب المعاصرين ليعرف ميوله واتجاهاته الفكرية والسياسية التي سوف تنعكس على كتابته. أحيانا نوع الخط قد يفيد في جمع معلومات عن شخصية المؤلف فهناك خط مشرقي ومغربي وربما أيضاً استخدام الأرقام، ففي المغرب شاع استخدام الأرقام العربية 3 ,2 ,1 في حين شاع استخدام الأرقام الهندية في المشرق ١, ٢, ٣.

أما إذا فشلت محاولات الباحث لمعرفة شخصية المؤلف فليس أمامه سوى التسليم بهذا وقد يستبعد الأصل كلية إذا وجد أن قيمته تتضاءل كثيراً دون معرفة مؤلفه الحقيقي لكن قد يضطر أحياناً إلى استخدام اصل في حالة لا

١- صلاح حسن العارور، المرجع السابق، ص١٣٤.

يجد غيره متوفراً لمجال بحثه ويمكن أن يستعين به على أمل أن يتحدد في يوم ما المؤلف الحقيقي له ، بمعنى أن الأصول مجهولة المؤلفين تستخدم أحياناً في الكتابة التاريخية ومن هذه كتاب وضع تحت اسم " الطواف بالبحر الاريتري" ولم يعرف مؤلفه وان اعتقد البعض انه احد التجار الإغريق ربما لأنه كتب باللاتينية وتضمن معلومات عن أنواع السلع وأسعارها وأماكن تواجدها وعرض فيه معلومات عن المنطقة الممتدة من البحر الأحمر وحتى الهند والخليج العربي وساحل أفريقيا الشرقي[1] ، هناك أيضاً مؤلف مجهول كتب عن رحلة فاسكو داجاما حول أفريقيا فوصف مناطق موزمبيق وماليندي وممبسا وتعد هذه المصدر الوحيد لتلك الرحلة الشهيرة.

إذا ألف احد المؤرخين في وقتنا الحاضر كتاباً وأرسله إلى المطبعة ثم راجع مسوداته بنفسه لعدة مرات عادة ما يجد بعض الاغلاط الإملائية والمطبعية التي حدثت سهواً ربما يؤدي بعضها إلى تغيير في معنى الجملة ، فما بالك إذا كنا نعتمد على أصول لا يوجد مؤلفيها بين ظهرانينا وربما طبعت مؤلفاتهم بعد رحيلهم وبالتالي لم يتسنى لهم مراجعة هذه الكتب. تصبح مهمة الباحث في غاية الصعوبة لكي يتحقق من كل واقعة جاء ذكرها في الكتاب ، أي أن النقد يشمل الجزيئات وليس الكل بشكل عام. بعض الساسة يشترطون نشر مذكراتهم بعد الوفاة شاتو بريان الزعيم الفرنسي ترك مذكرات

١- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١٠٣.

سماها"مذكرات للنشر بعد القبر" ، مثل هذه الكتب لابد من مراجعتها عند الطبع مع الأصل إذا وجد أحياناً تكون هناك صعوبة في قراءة خط المؤلف وربما تؤدي العجلة لنشر المذكرات إرضاء لفضول الجمهور إلى عدم التدقيق والتأكد من الألفاظ فيحدث تغيير بين الأصل والمطبوع دون أن ينتبه له أحد ، ثم إن في بعض الأحيان قد لايوجد الأصل وتبقى نسخة منه غير واضحة المعالم وهكذا هناك عدة عقبات تواجه الباحث عند استخدام مثل هذه المذكرات ولابد من التعامل معها بكثير من الحذر.

لابد من تطبيق القواعد التي وردت في المخطوطة من حيث معرفة اسم المؤلف والتحقق من علاقته بالحادث هل كان شاهد عيان أم كتبه عن راوي وهل اشترك هو نفسه في الحادث مثل أن يكون ضابطاً كتب وصف لمعركة فمن المؤكد انه سوف يضفي على نفسه بطولة قد لاتكون حقيقة ، من طبيعة البشر أن الإنسان لايمكن أن يحط من قدر نفسه فيكتب مثلاً انه تخاذل أو جبن أو ارتكب خيانة لزملائه. علينا أن نتحقق أيضا من موقع المؤلف من الحدث الذي كتب عنه ، فالوزير الذي يكتب لنا عن تجربته في الحكم يختلف عن كتابة موظف صغير في الدولة ولكن علينا أن نتأكد كيف كتب هذا الوزير مؤلفه ، بمعنى هل كان يسجل الأحداث بشكل يومي أثناء وجوده في السلطة ثم راجع هذه السجلات عند بداية الكتابة أو أنه اعتمد على الذاكرة فقط ليكتب عن تجربته السياسية ، ومما لاشك فيه وجود فارق كبير بين الحالتين ، فالذاكرة قد تخون الإنسان بمرور الزمن ، قد تسقط منها أشياء وقد تدخل فيها أمور لم

تحدث فالمؤلف دون قصد منه يجد نفسه غير ودون وقائع غير مطابقة للحقيقة ، أما إذا كتب تجربته معتمداً على ما كان يدونه يومياً فالقارىء سوف يكون أكثر اطمئناناً إلى ما يقراه ، ونجد الآن كثيراً من الساسة في العالم الغربي يحتفظون بسجلات يومية أثناء وجودهم في الحكم وعندما يكتبون مذكراتهم فهم يعتمدون على هذه وليس على الذاكرة ، قريباً أصدر مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا لمدة إحدى عشر سنة مذكراتها باسم" سنوات داوننج ستريت" فظلت على راس قائمة أكثر الكتب مبيعاً في أسواق الكتب لعدة سنوات بسبب ثقة القارىء في ما هو مكتوب. إذن معرفة شخصية المؤلف وعلاقتها بالحدث هي الخطوة الأولى في إثبات الحقيقة.

ولقد كشف المؤرخون عدة حالات تزييف في كتب مطبوعة قد يكون المؤلف قصد منها الكسب والشهرة أو ربما لاعتقاده صعوبة كشف واقعة التزوير أو ربما أراد أن يضفي على الحدث واقعية فيكتب لنا وصفاً لواقعة لم يشهدها بنفسه ويستخدم وسائل قد تقنع القارىء انه كان حاضراً كأن يتحدث عن حفل ما ، ويصفه بدقة معتمداً على البرنامج الذي وزعه المنظمون للحفل ، في بعض الأحيان يمكن اكتشاف التزوير إذا حدث تغيير في البرنامج ولم يدر به المؤلف بالطبع لأنه لم يكن حاضراً.

ولقد تشكك المؤرخون في مجموعة وثائق ادعى مؤلفوها إنها تعود إلى جزيرة سردينيا وتحوي تواريخ وأشعار تمت طباعتها في ايطاليا ١٨٦٣م على أساس إنها تعود إلى العصور الوسطى ، ولقد قامت أكاديمية العلوم في برلين

بدراسة أصول هذه الوثائق للتعرف على أسلوبها والخط الذي كتبت به ومعلوماتها التاريخية فأتضح إنها تختلف كلياً عما كان معروف في سردينيا خلال تلك الفترة مما يعني إنها مزيفة.

وعملية الكشف عن التزوير تتطلب معرفة عميقة بأحوال العصر وأحداثه ومؤسساته وأساليب الكتابة واللغة السائدة، قد مكنت هذه المعرفة أحد كبار المؤرخين- الامركي فلنج- للشك في ملحق لمذكرات نشرت في ١٨٠٤م على أساس أن مؤلفها هو عمدة باريس الذي ترأس حكومة المدينة عند اندلاع الثورة الفرنسية، لقد لاحظ فلنج أن لغة الملحق تشبه لغة الصحافة في ذلك الوقت (١٧٨٩م) وأن الملحق قد نسب في البداية إلى أحد أعضاء الجمعية التأسيسية ولكن عندما أعيد نشرها في ١٨٢٢م اعتبر الملحق من وضع العمدة نفسه، لكن فلنج بالرجوع إلى تلك الصحف اثبت أن الملحق قد نقل منها بعد تغيير ضمير الغائب إلى المتكلم.

وعلينا إلا نعتقد أن التزييف يتم بشكل ساذج ليسهل اكتشافه بل في كثير من الأحيان يتوخى المزيفون قدراً كبيراً من الدقة والمهارة حتى لايتم اكتشاف عملية التزوير ويجتهدون من اجل تضليل المؤرخين الذين يتشككون حتى في الأصول الصحيحة، من أمثلة محاولات ما قام به بعض المزيفين بالنسبة لرسائل نسبت لماري انطوانيت زوجة لويس السادس عشر أبان الثورة الفرنسية ولقد نشرت بعض الرسائل للملكة في ١٨٥٨م ولكن المزيفون قلدوا أسلوب هذه لينشروا رسالة ادعوا إنها من جملة رسائل كتبتها ماري انطوانيت في

١٧٨٩/٦/٢٠م ولم تكن هذه معروفة مما آثار الشكوك حولها خاصة أن ماري انطوانيت دعت الملك لمساندة الشعب في ثورته وهي المعروفة بعدائها وعدم اكتراثها لما يحل بالفرنسيين، غير انه من الصعب الجزم بحقيقة هذه الرسالة خاصة أن الأصل المخطوط قد فقد، ربما حدث تغيير في موقف ماري انطوانيت بعد إدراكها أن زمام الأمور قد افلت من يد الملك فأرادت أن تدفعه لتغيير موقفه من اجل إنقاذ الملكية، وربما تكون الرسالة مدسوسة على ماري انطوانيت ولم تكتبها أصلا، مما يكشف لنا عن المعاناة التي يمر بها المؤرخ كي يصل إلى الحقيقة.

إن زمان التدوين ومكان التدوين لهما أهمية قصوى في تحديد قيمة المعلومات، فكتاب يتعرض لواقعة معينة سجل في أثناء الواقعة ومن مكانها تختلف قيمته عن وثيقة كتبت بعد ربع قرن من وقوعها ولم يكن المؤلف موجوداً في مكان وقوع الحادثة[١] يتعين على الباحث جمع معلومات وافرة عن المؤلف ليتأكد من هذا الأمر، فقد يدعي احد المؤلفين انه كان حاضراً وقت حدوث واقعة معينة ولكن الباحث لا يأخذ بهذا بل لابد أن يتأكد بنفسه بقدر الامكان من هذه الحقيقة ويسعى لجمع الأدلة المختلفة لإثباتها، ويشبه في هذا القاضي الذي يسعى لجمع البراهين قبل أن يصدر حكما في قضية ولكن مهمة المؤرخ أكثر مشقة لأنه يتعامل مع مصادر وشهود يختلفون عن شهود القاضي والأمانة تقتضي أن يبذل كل ما يستطيع من جهد ليصل إلى الحقيقة لان ما

١- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١٠٤.

يصدره من حكم سيشكل لنا الصورة النهائية لقضية ما وربما ترتبت عليها دراسات وأبحاث أخرى مستقبلاً.

يمكننا أن نحدد إذا كان المؤلف موجوداً أثناء وقوع الحادثة التي كتب عنها أو الوصف الذي أورده عن واقعة معينة بجمع معلومات عن الواقعة نفسها[1] من الأمثلة هنا ما كتبه احد كتاب الثورة الفرنسية"كاميل ديمولان" عن الاجتماع الذي عقده مندوب الملك مع مجلس طبقات الأمة في ١٧٨٩/٦/٢٣م وجاء فيه وصفاً لمشادة وقعت بينه وبين احد ممثلي الثوار وهو ميرابو وبما أن ديمولان لم يكن عضواً في مجلس طبقات الأمة حسب ما تحصلنا عليه من معلومات من مصادر أخرى فهو إذا لم يكن موجوداً في مكان حدوث الواقعة مما يقلل من قيمتها لأنه اعتمد على رواية أشخاص كانوا حاضرين وليس أسهل من أن يدعي شخص انه شاهد حادثة ويكتب وصفاً لها على هذا الأساس فإذا كنا نأخذ هذه الروايات كقضية مسلم بها فإننا نلحق ضرراً بالغاً بالتاريخ يبقى على مر الأجيال.

أما زمان التدوين فله أهمية قصوى ولابد للباحث أن يسعى لإثباته إذا كان موجوداً في الأصل وان يحاول أن يحدده إذا لم يكن موجوداً ، ولقد ثبت وجود عدة أصول ادعى أصحابها إنها كتبت في أوقات معينة وبعد الفحص اتضح انهل ليست كذلك. أما إذا لم يكن التاريخ أو زمن التدوين موجوداً أصلا على الأصل فلابد أن يحدده المؤرخ لان على هذا تعتمد قيمته والطريقة

١- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١٠٥.

المتبعة هنا هو تحديد زمن لبداية الأصل وزمن لنهايته، بمعنى وضع تاريخ تقريبي لا يكون الأصل قد كتب قبله وتاريخ لنهايته عن طريق دراسة الأحداث الواردة فيه. يحدد المؤرخ تاريخ أول وأخر حادث ورد فيه (وهنا يظهر مشكلة أخرى فهل تم التدوين مباشرة أم بعد وقت طويل أم قصير) مما يعني أن النص دون بعد هذا الحادث وليس قبله، وإذا عرفنا أيضا أن حادث مهم آخر قد وقع ولكن المؤلف لم يذكره فالأغلب أن النص كتب قبل وقوع هذا الحادث. من الأمثلة التي أوردها حسن عثمان في تحديد زمان التدوين إذ وجد خطاب مرسل من احد سفراء البندقية في باريس إلى حكومته ولم يضع له تاريخ، وبمراجعة أحداث تلك الحقبة ينضح أن الأحداث التي ذكرها في الخطاب هي أحداث بداية الثورة في يونيو ١٧٨٩م مما يعني أن الخطاب لم يكتب قبل ذلك، وآخر حدث ذكره يعود تاريخه إلى ٢٧ يونيو والحدث المهم التالي ولم يذكره المؤلف كان في ٣٠ يونيو مما يعني أن الخطاب كتب بعد ٢٧ يونيو وقبل ٣٠ يونيو، ربما كان تاريخه يوم ٢٨أو ٢٩.

الفصل التاسع
النقد الباطني الداخلي

الفصل التاسع
النقد الباطني الداخلي

أولاً: النقد الباطني الإيجابي (نقد التفسير): هو يفسر النص ويشرح معانيه.

ثانياً: النقد الباطني السلبي: يظهر أهداف المؤلف وأغراضه ودرجة دقته في تسجيل المعلومات.

يعني هذا ضرورة تحليل الأصل لفهم ما أراد المؤلف أن يقوله وفي كثير من الأحيان نجد الباحث يشرع في تدوين المعلومات من الأصل دون إجراء عملية النقد هذه، قد يكون هذا جائزاً بالنسبة للأصول الحديثة حيث اللغة والأساليب مألوفة لدينا لكن في حالة أن تكون لغة المؤلف وطريقة تفكيره تختلف عن تفكير الباحث، أو إذا كان الأصل غير واضح المعاني وآثار شكوك الباحث وإذا لم يتمكن من فهم الأصل بشكل سليم غالباً ما يفسره حسب أفكاره وتصوراته لما يعتقده مقصد المؤلف فيأتي بنص من عنده يختلف تماماً عن النص الأصلي وذلك دون وعي منه، وأحيانا يبدأ الباحث في قراءة أصل تاريخي و في ذهنه أفكار محددة عن وقائع وتحت تأثير هذه يبدأ في دراسة الأصل فيستخرج أشياء بعيدة تماماً عما يرمي إليه المؤلف مما يعني بالتالي انه لم يفهمه كلياً أو جزئياً وانه فشل في مهمته وهي الوصول إلى الحقيقة بقدر الامكان. فبداية دراسة الباحث للأصل يجب أن

تكون فهم ما قصده المؤلف على وجه الدقة ثم يأتي التحليل بعد ذلك، فالمطلوب أولاً تفسير الأصل[1].

يبدأ الباحث إذاً بفهم لغة الأصل (المعنى الحرفي) ثم ينتقل بعد ذلك للمعنى الحقيقي الذي أراده المؤلف. أما بالنسبة للعملية الأولى فهي لغوية تستدعي معرفة وإلمام الباحث باللغة التي كتب بها الأصل وهذا لا يعني إجادة اللغة بالشكل المعروف حالياً بل معرفة الأساليب والمفردات والتعبيرات التي كانت شائعة وقت تسجيل الأصل لان اللغة تتطور على مر العصور وتدخل فيها تعبيرات تقتضيها ظروف ومستجدات وما نلاحظه اليوم من اجتهاد من علماء اللغات في تخريج مصطلحات ومفردات اقتضتها عملية التغيير على كافة الأصعدة في حياة الإنسان دليلاً على أن اللغة تتغير على مر العصور[2]. كما نلاحظ أيضاً أن بعض اللغات أسقطت منها مفردات أو دمج بعضها، فالباحث الذي يجيد اللغة الإنجليزية العصرية قد لايستطيع أن يفهم روايات كتاب من أمثال شكسبير (القرن السابع عشر) إذا لم يتمكن من التعرف على بعض التعابير والمفردات التي كانت سائدة آنذاك، المشكلة هي أن الإنسان يميل بطبعه إلى اخذ الكلمات لتعني معنى واحداً لايتغير فهو يفهمه مثل عبارات واختصارات علم الجبر والكيمياء بمعنى إنها ثابتة على مر العصور والأزمان ولها تعبير واحد لايتغير من مؤلف لأخر أو من عصر لأخر وهذا هو عين

١- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص١٢٧.

٢- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١١٧.

الخطأ، فالكلمة في اللغة تختلف تماماً عن رمز الكيمياء فهي قد تعني معاني كثيرة وقد يتغير معناها حسب السياق وقد يتغير هذا أيضاً من مؤلف لأخر، لقد اثبت المؤرخون هذه الحقائق بدراسة أصول تاريخية تعود إلى حقب مختلفة فكشفوا أن نفس اللفظ يعني أشياء مختلفة بالنسبة لتلك الحقب.

على الباحث أن يقاوم هذا الميل الطبيعي لاعتبار الألفاظ ثابتة وغير متغيرة بإجراء عدة عمليات: -

١) التعرف على مفردات ومصطلحات لغوية كانت شائعة الاستعمال في عصر المؤلف ويتأكد من معانيها على وجه الدقة.

٢) التعرف على المفردات الشائعة في الإقليم الذي ينتمي له المؤلف وفي حياتنا نلاحظ اختلافاً في كثير من معاني الألفاظ من منطقة إلى أخرى ومن إقليم إلى آخر[١].

٣) مراجعة كتب أو نصوص أخرى لنفس المؤلف للتعرف على لغته واستعماله للمفردات وهل هي متطابقة وهل استخدمها بنفس المعنى، قد قام بعض المؤرخين بوضع قواميس للغات بعض المؤلفين مثل" قاموس يوليوس قيصر" جمعت فيه كل الكلمات التي استخدمها قيصر مع تحديد لمعانيها.

٤) قد يكون من المفيد أيضاً الرجوع إلى أصول كتبها مؤلفون معاصرون لمؤلف الأصل الذي بين أيدينا للتأكد من معنى الألفاظ والمصطلحات حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى درجة عالية من اليقين بشأن معانيها.

١- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المرجع السابق، ص٣٠١.

٥) ضرورة فهم اللفظ في سياق المعنى العام له وليس بشكل جزئي بمعنى التقاط تعبير أو لفظ من جملة وتحديد المعنى له فإن هذا المسلك يكشف أحيانا عن خطأ فادح في فهم الأصل التاريخي ومن الضروري أن يقرأ الباحث كل المفردات ليحدد معناها في إطار السياق العام للأصل ولا ينتزعها من جمل أو فقرات ويقتبسها ويبني عليها استنتاجات غير حقيقية.

أما إذا استعصى على الباحث فهم النص رغم كل هذه العمليات فعليه أن يلجأ لتفسيره من داخله ربما يجد في جزء أخر من الأصل ما استعصى عليه فهمه في مكان آخر، في هذا المجال لعلماء التفسير المسلمين قواعد علمية صحيحة يمكن أن نطبقها في الأصول التاريخية وقد جاء في رسالة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمه عن أصول التفسير: " اصح الطرق في ذلك أن تفسر القرآن بالقرآن فيما أجمل في مكان فإنه قد يفسر في موضع آخر وما أختصر في مكان فقد يفسر في مكان آخر- فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي كل ما ختم به رسول الله ﷺ فهو بما(مما) فيه من القرآن قال تعالى: (إنا أنزلنا عليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، إذا لم يجد الباحث التفسير في القرآن والسنة فهو يلجأ إلى أقوال الصحابة لأنهم اعلم بما شاهدوه ولهم فهم وإلمام تام بالظروف في صدر الإسلام وهؤلاء يمثلون في حالتنا هذه المؤلفين المعاصرين لصاحب الأصل. فإذا ما طبق الباحث هذه

القواعد بصبر وهو أمر يحتاج لكثير من الوقت فان هامش الخطأ يتقلص كثيراً ولكن عدد قليل من الباحثين على استعداد للقيام بها وغالباً ما يلجأ إلى عملية سطحية ويكتفي بقراءة سريعة للأصل ثم يشرع في استخدامه والعملية قد لاتكون على درجة كبيرة من التعقيد إذ أن ليس كل كلمة أو تعبير ورد في الأصل يحتاج لمراجعة على أساس أنه خضع لتغيير أو تبديل، فاغلب الكلمات تكون ثابتة إلا أن الألفاظ المستخدمة في ظواهر قابلة للتطور هي التي يمكن أن يتغير معناها أو يكون لها معنى محدد في أزمان مختلفة: مثلاً طبقات المجتمع، نظام الوراثة، التقاليد والعادات فلابد من التأكد من معناها في الوقت الذي استخدمت فيه.

ثم تأتي بعد هذه عملية المعنى الحقيقي الذي أراده المؤلف، هل استخدام كلمات معينة وقد عددها الرازي في كتابه " نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز" بشكل مفصل في عدة فصول تشمل الكتابة والتجنيس والسجع والتضمين والترصيع والمجاز والتشبيه والاعتذار والاستعارة والتلميح واللف والنشر والتعديد والإغراق[1].

فإذا وجد الباحث تعبيراً لاينسجم مع المعنى العام للأصل فلابد أن يلجأ لمعرفة المعنى الحقيقي الذي أراده المؤلف هنا واستخدم عمداً تعبيراً مخالفاً في معناها لما هو شائع. الأمر يبقى سهلاً نوعاً ما إذ أن هناك طائفة من الأصول لاتاتي فيها ألفاظ وتعابير تختلف عن المعنى الظاهري مثل الوثائق الرسمية

١- عبد الرحمن بلوي، المرجع السابق، ص١٢٨.

والسجلات والتقارير وكتب التاريخ بشكل عام لكن الباحث قد تصادفه حالات يتشكك في المعنى الذي قصده المؤلف وتشمل هذه الطائفة الأصول التي عمد مؤلفوها ألا تكون مفهومة أو صريحة في عباراتها إذا كان المؤلف يخاطب جمهرة من الناس في موضوع سياسي محظور الحديث عنه أو أراد أن يأتي برأي يخالف رأي النظام ، فالحديث الصريح فيه يعرضه للعقاب فيلجأ للاستعارة والتشبيه... الخ ، أو إذا كان المؤلف يخاطب أناساً يتفقون معه في معرفة معنى مصطلحات معينة ولهم رموز مشتركة يتداولونها أو رسائل خاصة ، فمن الضروري هنا عدم الجنوح للمبالغة في تفسير المعنى المراد كما درج بعض المؤرخين في السابق ، فالباحث يتوخى الدقة والحذر ولا يشتط في محاولات فك رموز بعض المصطلحات والتعابير الواردة في الأصل فيحملها أكثر مما أراد المؤلف.

وعندما يفرغ الباحث من عملية معرفة المعنى الحقيقي الذي قصده المؤلف يكون قد انتهى من مرحلة النقد الايجابي وهي عملية تبدأ منذ أن بدأ المؤلف في ملاحظة الواقعة وخط أول كلمة في الأصل وحتى فرغ منه.

- العدالة والضبط

هذه العملية النقدية يقصد بها معرفة مقاصد المؤلف وأغراضه من كتابة النص التاريخي والى أي مدى كان رائدة الحقيقة المجردة وليس أي شيء آخر ، ونحن في أمس الحاجة لتطبيق هذه العملية من كثرة ما نراه من عمليات نصب واحتيال وتلفيق من أناس يعيشون بيننا فكيف أولئك الذين تفصلنا

عنهم أزمان سحيقة[١]، فمن حق الباحث أن يتشكك في كل ما كتب حتى يثبت له العكس. الدافع لإجراء هذه العملية هو التأكد من الوقائع الواردة في الأصل، فالوصف الذي نقرأه لحادثة قد لا يكون هو ما حدث فعلاً بل هو ما تصور المؤلف أنه قد حدث وربما عمد المؤلف للكذب في تسجيل الحادثة فالحقيقة ليست كما صورها لنا، الإنسان بطبعه يميل إلى قبول أي قول بأنه صدق ومعنى هذا أنه لا يوجد مؤلف يكذب أو يخطيء وهو ما يتنافى مع الواقع الذي نجد فيه حالات الكذب والخطأ من الأمور الشائعة[٢].

اكتشف المؤرخون تناقضاً واضحاً في الوقائع التي أوردتها بعض الأصول فجاءت عملية النقد السلبي لفرز الوقائع التي ينضح مجافاتها للحقيقة. ومن أهم القواعد التي تطبق هنا:

١) عدم الوثوق كلياً بما يكتبه المؤلف على أساس أن هذا المؤلف ثقة فيجب أن يتيقن بنفسه من هذا الصدق قبل أن يصدر حكماً جازماً بشأن الأصل.

٢) لايعتبر البحث الأصل كوحدة متكاملة مطابقاً للواقع أو غير ذلك لابد من اخذ كل واقعة أو جزئية على حدة واثبات صحتها، فإذا وجدنا عقد بيع فلا يكفي أن نثبت أن العقد بشكل عام غير مزور وبالتالي تستخدمه دون أن نفحص جزئياته: هناك الشهود- التاريخ- البائع- المشتري- الثمن، فلابد من إثبات كل من هذه الحقائق على حدة[٣].

١- اسد رستم، المرجع السابق، ص١٢٧.

٢- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق ص١٣٥.

٣- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١٢٦.

٣) عدم الأخذ بطابع الصدق الذي يظهر أحياناً في بعض الأصول فيميل الباحث إلى تصديق الروايات مستنداً فقط على أن طابعها يوحي بالصدق، وهذه قضية تلحق الضرر الكثير بالكتابة التاريخية، إذ أن في حياتنا اليومية كثيراً ما نلتقي بأشخاص يجيدون فن تمثيل لهجة الصدق في كلامهم وأفعالهم وهم ابعد ما يكون عن ذلك.

٤) إيراد المؤلف التفاصيل الكثيرة لا تعني انه صادقا في روايته بل أن البعض يعمد لهذه التفاصيل بغرض التضليل وإيهام القارىء بأنه يقول الصدق، فيعتقد القارىء غير المدرب أن مثل كل هذه التفاصيل لايمكن أن تكون مختلفة.

وقد وضع بعض المؤرخين جملة أسئلة يمكن للباحث أن يحاول وضع إجابات عليها كي يتمكن من التأكد من وقائع الأصل.

المجموعة الأولى من الأسئلة تكشف الإجابة عليها الظروف التي صاحبت إعداد الوثيقة وهل فيها ما دفع المؤلف لقول غير مطابق للحقيقة وما هي هذه الدوافع؟ أما المجموعة الثانية من الأسئلة فهي تكشف مقدار ضبط المؤلف وحرصه على قول الحقيقة. المجموعة الأولى نقد الأمانة لمعرفة أن المؤلف لم يكذب، المجموعة الثانية نقد الدقة لمعرفة أنه لم يخطئ[1].

- **المجموعة الأولى من الأسئلة تشمل:-**

١) هل أراد المؤلف تحقيق مصلحة شخصية وسعى لخداع القارىء لإيهامه بالتصديق ليحمله على قبول استنتاج محدد أو رفض له، وهذا يعني أن

١- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص١٤١.

المؤلف تعمد الكذب ومن أمثلة هذا ما تنشره الحكومات عن تقارير قد يكون بعضها مطابق للواقع ولكنها كثيراً ما تخفي جزء من الحقيقة [1].

٢) هل وجد المؤلف في ظروف أرغمته على الكذب: في الوثائق الرسمية قد يكتب شخص محاضر جلسة غير مطابقة للواقع من حيث بدايتها وعدد الحضور وموعد الانتهاء، وكون الأصل وثيقة رسمية لا يعني إنها صحيحة ١٠٠٪ فلابد من التدقيق في كل أجزائها ولا يضللنا الطابع الرسمي للأصل فهناك أخطاء كثيرة ترتكب من قبل مسؤولين في هذه الوثائق ورغم إنها طفيفة لكن لابد من كشفها، شخص يوقع على محضر لاجتماع لم يحضره من الأمور الشائعة في حياتنا اليومية

٣) هل ارتبط المؤلف بطائفة أو فئة عرقية أو مذهبية دينية أو فكرية وأراد أن يناصرها عن طريق تبديل أو تعديل في الأصل الذي كتبه ولابد للتحقق من هذا بدراسة علاقات المؤلف مع المؤسسات السياسية والعرقية والتعرف على أفكاره ومبادئه الفلسفية للتأكد من احتمال الكذب فيما رواه، ولقد فطن قدامى المؤرخين لخطورة هذا الانتماء فتباهوا بحيادهم وعدم انحيازهم لأية جهة أو مذهب في كتاباتهم [2].

٤) هل أراد المؤلف أن يفاخر بإنجاز معين فروى قولاً غير مطابق للحقيقة بدافع الرغبة الطبيعية في إرضاء الغرور والكبرياء وتمجيد نفسه أو الطائفة التي ينتمي

١- أسد رستم، المرجع السابق، ص٦١.

٢- أسد رستم، المرجع السابق، ص٦١ وعبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص١٤٣.

إليها؟ قد تختلف دوافع الغرور من مكان وزمان لأخر، فما نراه اليوم مدعاة للفخر قد لايكون كذلك في العصور الوسطى والعكس صحيح[١].

٥) هل كان للمؤلف دافعاً لإرضاء جمهور يخاطبه بسبب وجود عقائد معينة تحظر عليه مخالفة معتقدات هذا الجمهور حتى وان كان لايؤمن بها شخصياً فيضطر لقول أشياء قد لاتنطبق على الواقع أو يبدل في وقائع معينة حتى تتماشى مع هذا الموقع الذي فرضته عليه تلك التقاليد[٢]، قد نلاحظ في الرسائل الشخصية كثير من عبارات التودد والإخلاص هي مجرد مجاملات تقليدية، فلابد إذا أردنا استخدام هذه في الكتابة التاريخية التأكد من المشاعر الحقيقية من كاتبها وأنها ليست مظهر للمجاملة أو التقاليد، وقد نجد أيضاً في الرسائل الرسمية عبارات الاحترام بداعي الاتيكيت والحقيقة تكون ابعد من هذا التصور. فعلينا التأكد من الجمهور الذي يخاطبه المؤلف وإذا كان التقليد أو العادات تفرض عليه تملقه والتودد إليه وأيضا التعرف على صيغ المخاطبة حتى نتيقن مما ورد في الرسائل هو مجرد التزام بهذه الصيغ ولكنه لايكشف عن مشاعر حقيقية، ولقد وجد المؤرخون وثائق تعود إلى العصور الوسطى تكشف عن تواضع الرجال الاكليروس عند عرض بعض المناصب عليهم فكانوا يرفضونها بحجة انه غير أهل لها غير أن الدراسة الدقيقة كشفت أن هذه هي الصيغة المتعارف عليه.

١- يورد عبد الرحمن بدوي مثالاً على أن الفرنسيين في عصرنا هذا يجاهدون للتنقل من مذبحه سان بارثلميو ضد الهيوغونت بينما كان ملكهم شارل التاسع ينسب لنفسه وقتها دوراً مبالغاً فيه مما يعني انه يفاخر بهذا الدور.

٢- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١٣٠.

٦) قد يجنح المؤلف إلى الأسلوب الأدبي في الكتابة مما يجعله يبتعد عن الحقيقة فهو لايتوانى في تبديل أو تغيير هنا وهناك إذا اقتضى الأسلوب الأدبي هذا، فهو يتلاعب بالألفاظ وينسب لأشخاص أعمال مجيدة ويستخدم عبارات أخاذة من اجل صبغ الأصل بالطابع الدرامي وجعله أكثر تشويقاً وأكثر تأثيرا على نفسية القارىء، فكلما اكتشف الباحث هذا النمط في الكتابة في الأصول عليه أن يزداد ريبة وشك ويجد في فحص الأصل بدقة وحذر.

إذا طبق الباحث هذه الأسئلة فإنه ينجح في فرز الأقوال التي يمكن أن تكون كاذبة والأخرى المطابقة للواقع.

أما المجموعة الثانية من الأسئلة فهي تكشف لنا مقدار دقة المؤلف وضبطه للأحداث وهنا الاعتماد الأساسي حسب ماهو متعارف عليه للتأكد من ظروف المعرفة الدقيقة للوقائع هو الملاحظة، فإن تحديد قيمة الأصل ودقته تعتمد على الملاحظة سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر وكيف تمت هذه الملاحظة.

١) هل كان المؤلف في حالة تسمح له بتسجيل الواقعة بشكل سليم، هل حواسه سليمة ساعدته في ملاحظة الواقعة كما حدثت وليست كما تخيلها هو، قد يكون الراوي واقعاً تحت تأثير أوهام، هلوسة، أحكام مسبقة فجاءت روايته تحت هذه المؤثرات وبالطبع لاتعرف أي من هذه أثرت على المؤلف على وجه الدقة. ثم هل كان المؤلف يتمتع بقدر من الذكاء والفطنة والتأهيل تمكنه من تسجيل واقعة بشكل دقيق أم انه مجرد وصف سطحي للحادثة خدعته بعض المؤثرات السطحية؟ فالعسكري اقدر على وصف المعركة من المدني، والطبيب أقد على وصف حالة وباء انتشرت في البلاد من الأديب

وهكذا. فعقلية الكاتب هي التي تحدد ما يختاره من وقائع لتسجيلها فيما يخص حدث معين، ربما يكون المؤلف واقعاً تحت تأثير شعور أو فكر معين ولهذا لديه فكرة مسبقة عن الحادث أثرت على وصفه وأبعدته عن الحقيقة. أحياناً قد يكون الأصل عبارة عن إجابة لأسئلة ويوحي شكل السؤال بجواب معين قد لايكون مطابقاً للواقع بل يخدم حقيقة معينة ونجد مثل هذه الأسئلة في الاستجوابات والتحقيقات فعلينا أن نأخذ مثل هذه الإجابات بحذر شديد، الشخص قد يعرف أن عليه أن يجيب على سؤال ما بإجابة معينة ليس بالضرورة أن تكون معبرة عما حدث.

٢) هل توفرت ظروف الملاحظة للمؤلف: هل كان في موقع يسمح له بهذا وهل كان أثناء المشاهدة غير خاضع لغرض معين من اجل التوصل إلى نتيجة مسبقة وكيف كان يسجل مشاهداته وما هو منهجه، هل هناك أسباب تدعو إلى الخطأ في الملاحظة: إذا دونت وقائع اجتماع بين رؤساء وكان المؤلف مرؤوساً ولم يفهم ما يدور بدقة، ظروف شغلته عن التدوين- مثلاً الجندي في أثناء المعركة هل يتمتع بخبرة تجعله يميز الوقائع المهمة من غير المهمة، والنقطة الرئيسية هنا متى سجل المؤلف الواقعة، فالملاحظة الوحيدة الدقيقة هي التي تسجل في ساعة وقوع الحادثة، وقد لوحظ أن المذكرات التي كتبت بعد الأحداث بعدة ساعات أدخلت في التاريخ أغلاطا كثيرة فهي تعتبر أصول من الدرجة الثانية على الرغم مما يظهر بها من مظاهر الصدق [١].

١- أسد رستم، المرجع السابق، ص٦٥.

٣) هل تهاون المؤلف في معرفة حقائق كان يمكن أن يشاهدها بنفسه فأهمل هذا الأمر وعمد إلى تسجيلها كما تخيل أنها حدثت، في الوقائع الخاصة بالمؤتمرات مثلاً تكتب في برنامج الحفل [١]، في الأصول الرسمية قد نجد محاضر لتحقيقات كتبها أشخاص لم يكونوا موجودين في وقت الحادث وقد كشف المؤرخون مثل هذه الحالات في كثير من وثائق العصور الوسطى حيث كانت صيغ رسمية معتادة في المراسم فلم يكلف بعض المؤلفين أنفسهم عناء حضورها واكتفوا بالكتابة عن الحادثة كما تخيلوا أنها قد حدثت بهذه الصورة.

٤) هل الواقعة بطبعها لاتحتمل الملاحظة من قبل الراوي: دافع باطني، عاطفة شخص ما، أو واقعة جماعية اشترك فيها عدد كبير من الناس مثل الجيوش أو عادات شعب كامل، أو أن الواقعة استمرت لفترة طويلة قرن من الزمان وبالتالي لايتمكن الراوي من ملاحظتها بدقة ولابد انه حصل على جزء منها بطريقة غير مباشرة [٢].

من الضروري هنا التدقيق في كل أجزاء الأصل ولايكفي أن نثبت أن الراوي تميز بالعدالة والضبط في احد أصوله مما يعني انه هكذا في جميع كتابته بل يجب أن نفحص كل نص على حده، وأيضا كل جزئيات هذا النص فقد يكون أخطأ في بعضها وأصاب في أخرى، عندما يذكر أرقام أو وصف لعادات

١- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص١٤٨.

٢- حسن عثمان، المرجع السابق، ص١٣٢.

شعب هل كانت هذه عن طريق عملية تقديرية؟ وهل عمم هذا الوصف الذي ينطبق على قسم من الشعب على الكل.

٥) لابد ممن التمييز بين الوقائع التي شاهدها الراوي بنفسه والتي اعتمد فيها على مصادر أخرى ، فإذا فحصنا اصل ووجدنا أن نسبة الوقائع التي شهدها المؤلف بنفسه لاتمثل إلا نسبة ضئيلة من جملة هذه الوقائع والأغلب حصل عليها بطريق غير مباشر بمعنى أنها رواية أو مصدر من الدرجة الثانية (المصدر من الدرجة الأولى تعني أقوال من الدرجة الأولى أي صادر عن مشاهدة مباشرة). فالقائد الذي يروي أخبار معركة لابد انه اعتمد على ملاحظات الضباط عندما يكتب عنهم فتأتي أجزاء منها نتيجة لملاحظته هو(مصدر من الدرجة الأولى) وأخرى تعتبر مصدر من الدرجة الثانية ، علينا هنا أيضاً أن نفحص هذا المصدر الثانوي حتى نتأكد من علاقته بالحادث ونثبت شخصيته وما إذا كان أميناً في قوله ، وأحيانا قد لايتمكن الباحث من الوصول إلى هذه المصادر الثانوية فعليه أن يدرس الأصل بعناية ويتأكد أن كانت هذه الروايات الثانوية قد وصلت إلى المؤلف عن طريق الرواية الشفوية أم انه اعتمد على وثائق ، وأننا نجد في عدة آيات من القرآن الكريم ما يساعدنا في فهم نقد الأصول التاريخية إذ هي تحثنا على عدم أخذ الأمور بالشبهات : (ياايها الذين آمنوا أن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا . . . الخ الآية) ، لابد من الإشادة هنا أيضاً بفضل علماء الحديث على التاريخ إذ أنهم حددوا بدقة الأشخاص الثقاة الذين يمكن أن يعتمد

على رواياتهم فقال الإمام مالك بن أنس(٧٩هـ) "لايؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ من سوى ذلك- لايؤخذ من سفيه ولايؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس وان كان لايتهم على أحاديث رسول الله ﷺ ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لايعرف ما يحدث به".

وقال الحافظ الفقيه ابن الصلاح الشهر زوري(٦٤٣هـ)" اجمع جماهير أئمة الحديث والفقه على انه يشترط فيمن يحتج بروايته أن يكن عدلاً ضابطاً لما يرويه وتفصيله أن يكون مسلما بالغا عاقلاً سالما من أسباب الفسق وخوارم المروءة متيقظاً غير مغفل حافظاً أن حدث من حفظه ضابطاً لكتابه أن حدث من كتابه"، قد فصل ابن الصلاح هذه الشروط في:

١) عدالة الراوي نتحقق منها ما إذا اشتهر بعدالة بين أهل العلم وأشادوا به وأصبح مكانة ثقتهم وفي هذه الحالة لانحتاج لبينة تثبت عدالته.

٢) يعتبر الراوي ضابطاً لما كتب عند مقارنة كتاباته مع الثقاة المعروفين والمشهود لهم بالضبط والإتقان فإذا توافقت مع هذه في اغلب أجزائها فإننا نعتبره ضابطاً وألا استبعدنا روايته.

٣) يمكن قبول التعديل دون ذكر لسببه(التعديل هو ذكر الصفات الشخصية للراوي التي تجعله محل ثقة مثلاً الاستقامة أو انه ثقة أو حجة أو حافظ) وذلك لان الأسباب قد تكون كثيرة يصعب حصرها. أما بالنسبة للجرح(ذكر العيوب الشخصية للمؤلف التي تسلبه العدالة مثلاً يوصف بأنه كاذب، ضعيف في رواياته أو غير ثابت فيها...الخ).

علينا أن نتأكد إذا كانت الرواية في الأصل مكتوبة أو شفوية فإذا كانت مكتوبة يمكن أن تحافظ على دقتها أما الرواية الشفوية فهي عرضة للتعديل حسب انطباعات من ينقلها. كثير من العلوم لا تعتمد بالرواية الشفوية وعلى المؤرخ الالتزام بهذا فيستبعد من الوثيقة الأجزاء التي اعتمدت على روايات شفوية بالرغم أن الكثيرين لايصرحون بأنهم اعتمدوا على رواية شفوية ولكن الباحث يمكن أن يتأكد من هذا بسؤال: هل العصر الذي تعود إليه الواقعة عرف تسجيل الوقائع بهذا الشكل؟ فإذا كانت الإجابة سلبية فهذا يعني أن المؤلف اعتمد على رواية شفوية.

يمكن للمؤرخ أن يستفيد مما هو منطقي ومعقول في تلك الروايات واستبعاد ما يبدو مستحيل أو متناقض. أو أحيانا يمكن أن نقارن بين مختلف الأساطير ونستخلص ما هو مشترك على أساس انه واقعي أو تاريخي، رغم أن بعض المؤرخين يعتقد من المستحيل أن نستخلص من الأسطورة أية معلومة مؤكدة وأنها من خيال الشعب، علينا بشكل عام أن نتبع القاعدة(عدم الأخذ بأي قول مصدره أسطورة).

إذاً في النهاية يجد المؤرخ أمامه معلومات لايعرف بالتحديد من شاهدها ولامتى قيدها ووجود فرص كثيرة للخطأ والكذب، فالمؤرخ لا يتشدد كثيراً في شروط الملاحظة إضافة إلى وجود معلومات يكون احتمال الكذب أو الخطأ فيها نادراً فالمؤرخ يمكن أن يبحث في الوثيقة ويرى إذا كان بعض معلوماتها تقع في هذه الفئة، أما هذه الحالات فتشمل[١]:

١- عبد الرحمن بدوي، المرجع السابق، ص١٥٤.

أ) حالة الكذب فيها غير محتمل ذلك لأن الشخص يكذب ليحدث تأثير عند المستمع أو القارىء لتضليله بموقف أو رأي، يمكن أحيانا أن لا يكون لهذا تأثير أو فائدة فهل وصل المؤلف لهذه القناعة بسبب: -

١) أن الكذب يؤدي إلى تأثير عكسي مضاد لمصلحة أفراد أو طائفة أو جماعة ينتمي إليها المؤلف من خلال الرأي الذي أراد أن يروج له؟ هنا الكذب مستبعد، ولكن يجب أن يكون هذا في منتهى الدقة إذا رأينا مثلاً شخص ينتمي لمذهب ديني معين يذم الذين ينتمون لنفس المذهب فربما يكون هناك طوائف مختلفة متنافرة في داخل نفس المذهب.

٢) قد تكون الواقعة معروفة جيداً بشكل يمنع المؤلف من الكذب عنها بسبب يقينه بان الكذب سيفضح، وهذه تتعلق بالوقائع القريبة زمانيا ومكانياً والمستمرة لفترة طويلة.

٣) هل هذه الواقعة لاتهم المؤلف بصفة خاصة فلم يهتم بتحريفها وتشمل هذه أحداث عامة وأشخاص ثانويين، فالمؤلف غالباً ما يذكر وقائع حقيقية عندما يكتب عن موضوع، ولا يكون كله كذباً فغالباً إذا قصد الكذب فهو يذكر وقائع ثابتة خاصة إذا كانت معروفه في عصره.

ب) الحالة الثانية: والتي يكون فيها احتمال الخطأ ضئيلاً فهي الوقائع الضخمة التي من الصعب مشاهدتها خطأ فهل الواقعة كانت من هذا النوع الذي يسهل مشاهدته: بقيت في مكانها لفترة طويلة تمكن المؤلف من رؤيتها مراراً:

١) أثر أو شخصية أو حادث استمر لفترة طويلة.

٢) هل كانت واسعة الانتشار شاهدها عدد كبير من الناس(معركة – احتفال– تقليد شائع).

جـ) الحالة الثالثة : معلومات احتمال الصحة فيها مؤكد إذا أورد المؤلف معلومات متناقضة لعاداته واعتقاداته فلا يمكن أن تكون إلا صحيحة فإذا ثبت لنا أن الواقعة تتناقض مع أفكار المؤلف ورغم هذا أوردها فالأغلب أنها صحيحة.

إذا تحليل أي أصل تاريخي يجب أن يكون بهذه الصورة حتى نتعرف على المؤلف ، عصره ، مكانه ، هدفه ، ثقافته ، ما هي فرص الكذب في الكتابة أو الخطأ وبعد الانتهاء من هذه العملية يكتسب الباحث مهارة نقدية تجعله يحلل هذه الأصول بمهارة منهجية.

هناك مرحلة أخرى بعد تحري النصوص وإخضاعها للنقد الظاهري والباطني وتوخي العدالة والضبط لدى المؤلف قبل أن يشرع الباحث في استخدام المعلومات في التأليف التاريخي وهي مرحلة إثبات جزيئات الوقائع.

فالمؤرخ يستبعد معلومات كثيرة عن طريق النقد السلبي ولايجد ما يضعه مكانها كما أن المعلومات الايجابية هي أيضا موضع شك وهو يقول فيها باحتمال الصدق فيها ، يمكن للباحث أن يقسم معلوماته إلى درجات حسب الرواة : راوٍ يمكن أن يعتمد على روايته وأخر ضعيف وأخر تسقط روايته ويعني هذا ضرورة متابعة البحث والاستقصاء ليصل إلى ماهو اقرب إلى

اليقين، يمكن جمع الأقوال المتعددة الخاصة برواية ما والمقارنة بينها لابد من الانتباه هنا لعدة أشياء:

١) استبعاد الواقعة التي يرويها شخص واحد، ففي مجال العلوم الطبيعية فان إثبات الحقيقة يكون بالتجربة والتكرار والمشاهدة فعلينا بالتاريخ أن نلتزم بهذه القاعدة وقد أشار علماء الحديث إلى تقسيم رواية الحديث إلى درجات أعلاها المتواتر حيث يمنع عدد المخبرين به تواطؤهم على الكذب، إذا أراد المؤرخ ذكر واقعة رواها شخص واحد مهما كان أمينا فلا يؤكلها بل ينسبها لقائلها: كما ذكر هيرودوت أو قيصر مثلاً ويظهر خطر هذا الأسلوب إذا أصبحت هذه معلومات يعتمد عليها ويقرها المؤرخون فقط لأنها لا تناقضها وثيقة أخرى واصبح هذا أكثر قبولا من وقائع فيها عدة روايات متناقضة مثلا الحرب الميدية كتب عنها هير ودوت وحده بشكل أساسي ولكنها لاتخضع للمناقشة مثل ما حدث للثورة الفرنسية التي كتبت عنها مئات الروايات من المعاصرين لها: الأمر يتطلب ثورة في أذهان المؤرخين.

٢) إذا صادف الباحث عدة روايات عن واقعة معينة لكنها متناقضة عليه أولا التأكد من أنها فعلاً متناقضة فما يبدو أحيانا تناقض هو في الواقع روايات مختلفة في الزمان أو المكان أو الأشخاص فلكي نقر بالتناقض يجب التأكد أن الرواية تتعلق بنفس الحادث، قد يكون التناقض ظاهري فقط ولكن الروايات تتعلق بحادثتين مختلفتين، علينا إلا نأخذ هذه بان كل رواية تؤيد الأخرى بل نأخذها كروايات منفردة إذا أتضح عدم تطابق جزيئات الواقعة.

أما إذا ثبت التناقض فعلى المؤرخ التعرف على أي منهما هو الصحيح ولا يجب أن يسعى لايجاد حل وسط أذ أن هذا الاتجاه منافياً للروح العلمية التي يجب أن تتحلى بها الكتابة التاريخية ، فإذا كنا لانقبل حلا وسط في جمع ٢+٢=٤ وآخر ٢+٢=٦ فنقول حل وسط ٢+٢=٥ فإذا أورد مؤلف أن عدد المقاتلين ٢٠,٠٠٠ وذكر آخر بأنهم ٤٠,٠٠٠ فلايجب أن نوقعه بين العددين ونقول أنهم ٣٠,٠٠٠ بل علينا أن نبحث لنصل إلى ايهما الصواب.

ثم أن تعدد الروايات لايعتد بها لأنه قد تكون هناك عدة روايات نقلت من مصدر واحد ونلاحظ في حياتنا اليومية أن خبر مصدره صحيفة أو وكالة أنباء يتم تداوله في عدة صحف فإذا أورد مائة مؤلف وصف لواقعة علينا أن نتأكد من أنهم مستقلون عن بعضهم البعض ، لاعبرة بالعدد لان الحقائق العلمية لاتحسم بالتصويت والأكثرية [1]. قال احد الفلاسفة العبرة بالوزن وليس بالعدد ولقد اتبع المؤرخون قاعدة عامة هي أن المؤلفين إذا اتفقوا على جزيئات واقعة فلابد أن مصدرهم واحد وأما ما أورده كل منهم بشكل مستقل فهو الأقرب إلى الصحة : إذا تكرر قول خاطيء في أكثر من وثيقة فمعناها نقلهم عن واحد.

ثم أن تطابق الروايات تثير الشكوك أيضاً وكما أدرك خبراء التزوير فان الدقة في تزوير توقيعات تؤكد وقوع التزوير فكلما اكتشف المؤرخ تطابق في روايات عليه أن تزداد شكوكه لكن يجب أن نحتاط للتالي.

١- أسد رستم، المرجع السابق، ص٨٣.

ربما أن المؤلف لم يكتفي بنقل الملاحظة بل أعاد رؤيتها بنفسه قبل أن يسجلها ، وربما انه اشترك في المشاهدة مع آخرين ولكنهم كلفوا احدهم بتسجيلها : محاضر جلسات لجان هل راجعها آخرون أم محررها فقط.

ربما أن هناك عدد كبير من المشاهدين قيدوا نفس الملاحظة في ظروف متشابهة ، علينا أن نلاحظ هنا تطبيق أسلوب النقد السلبي هنا ، الملاحظات المستقلة هي ما ورد في وثائق مختلفة كتبها مؤلفون مختلفون ينتسبون إلى جماعات أو مذاهب مختلفة ويعملون في ظروف مختلفة. في بعض الأحيان قد يجد الباحث رواية تتناقض مع الوقائع الثابتة والمعروفة تاريخياً أو ماعرف بالملاحظة والتجربة في العلوم الطبيعية أو قانون علمي أثبته العلماء ففي هذه الحالة لابد أن يأخذ الباحث بالرواية التي أثبتتها التجارب العلمية لان المعلومات التاريخية مهما كانت دقتها فهي اقل قيمة من المعرفة العلمية المؤسسة على الملاحظة المباشرة والتجارب ، فلابد من تصحيح المعلومات التاريخية التي يحصل عليها ، وان كانت تتفق مع علوم أخرى مثل علم النفس وعلم الاجتماع وهي علوم تتشابه مع التاريخ في مدى دقة وقائعها ، على التاريخ أن يستفيد من نتائج العلوم الطبيعية في تفسير بعض أحداثه ولايمكن أن يحدث العكس.

وقد يواجه الباحث أحيانا بفكرة أو رأي يميل إلى استبعاده بسبب انه غير محتمل الحدوث ولكن علينا هنا أن نحدد الظروف التي وجدت فيها هذه الواقعة لان فكرة عدم الاحتمال غير علمية بمعنى أنها تتغير حسب الظروف فيما يراه جمهور ما بأنه غير محتمل أو معجزة ، وقد يكون شيئاً محتملاً بالنسبة

لجمهور آخر إذا تغيرت الظروف ، فإذا شاهد جمهور العصور الوسطى طائرة أو تلفزيون قد يعتقد أن هذه معجزة ، فإذا على الباحث دراسة الظروف التي جاءت فيها الواقعة ليحدد ما إذا كانت بالفعل غير محتملة.

من القواعد التي يمكن أن يسير عليها الباحث هو مدى الاتفاق بين أصول مختلفة حول واقعة معينة ، فالأصول تحوي معلومات تتفق مع بعضها البعض وأخرى تختلف فيها ، فيقوم بدراسة نواحي الاتفاق هذه ونواحي الاختلاف في كل اصل على حده حتى يستطيع أن يصل إلى درجة من الدقة في معلوماته. يمكن أن يعتمد أيضا على تجميع جزيئات واقعة معينة ويحاول أن يشكل صورة منسقة معنوياً مع بعضها البعض ، إذا وجد وصف رحلة لأحد الملوك يمكن أن يحاول أن يبني صورة تقريبية من الأصول عن طريق تحديد بدايتها ، الأماكن التي مر بها ، الأشخاص الذين كانوا في معيته فإذا لم تقدم الأصول المعلومات في اتساق عام عن هذا الحادث فيمكن الأخذ بنقاط الاتفاق.

الفصل العاشر
البحوث التاريخية ومجالاتها

الفصل العاشر
البحوث التاريخية ومجالاتها

يحتاج طالب التاريخ إلى كتابة أبحاث في مراحل مختلفة من حياته الجامعية فهو في مرحلة البكالوريوس يكتب مقالات قصيرة بتكليف من أساتذته ، فيختار أحد موضوعات المنهج ويكتب بحثاً قصيراً قد لايتعدى عدة صفحات ولكنه مفيد كنوع من التدريب فهو يتعرف على طريقة أخذ المادة من المراجع ويتدرب على صياغتها بأسلوبه ولا نتوقع من المقال أن يضم التقسيم الذي نجده في البحث المطول مثل المقدمة والخاتمة والفصول والهوامش وان كان الطالب يثبت في نهايتها المراجع التي استخدمها.

في مرحلة البكالوريوس أيضاً قد تطالب بعض الجامعات بتقديم " بحث التخرج" كمقرر منفصل وهنا يحتاج الطالب لخطة مبسطة لموضوع البحث ويطبق ما تعلمه من منهج البحث التاريخي أثناء دراسته الجامعية ويمكن للأستاذ أن يحكم على مدى استفادة الطالب من دراسة المنهج عند إطلاعه على أبحاث التخرج هذه بالرغم من أن كثير من الأساتذة ينظرون لها كمحاولة لتدريب الطلاب لكتابة رسائل لدرجات عليا فيما بعد.

أما الطالب الذي يسعى للتخصص في التاريخ فهو يقدم" أطروحة Thesisشرط أن يكون مؤهلاً للقيام بهذا العمل، فكتابة التاريخ مسؤولية كبرى ولابد للجامعات أن تطمئن إلى أن الذين يضطلعون بهذه المهمة مؤهلين

بشكل يتوائم مع جسامتها. بعض الجامعات تطالب الطالب بمزيد من الدراسة قبل أن تسمح له بالتسجيل للماجستير ،قد يكون برنامجاً تمهيدياً (لاتقل ساعاته عن ٦٠٠ ساعة تدريسية) وبعضها تدخل الطلاب في برنامج للدبلوم العالي لمزيد من التأهيل الأكاديمي.

المرحلة الأولى للتخصص هي كتابة رسالة الماجستير A.M واغلب الجامعات تحدد لها فترة زمنية ما بين ١٨- ٢٤ شهراً.

والاتجاه السائد هو تقديم لبحث لنيل هذه الدرجة رغم من أن بعض الجامعات تمنح الماجستير عن طريق(الكورسات) ولكن في الحالتين يقدم الطالب بحثاً وان كان في الحالة الثانية يقدم بحثاً تكميلياً على أساس انه يتكامل مع امتحاناته في الكورسات(في الأغلب نجد هذا الأسلوب مستخدم بشكل أوسع في العلوم الطبيعية).

هناك بعض الجامعات التي تتوفر فيها الامكانات الأكاديمية من حيث الأساتذة المتخصصين في المجالات التاريخية المختلفة يمكن أن تمزج بين الماجستير عن طريق البحث وعن طريق الكورسات. في بعض الجامعات(كمبردج) مثلاً تمنح درجة ماقبل الدكتوراة M. PhD أو Mlitt على أساس أن الطالب تخصص في مجال واسع تمهيداً لاختبار موضوع أكثر دقة للدكتوراة ، فقد يكتب الطالب أطروحة ماجستير الفلسفة في التاريخ الوسيط ثم يختار للدكتوراه موضوع أكثر تحديداً ، تاريخ الفكر السياسي ، أو العلاقات الدولية مثلاً ، يقاس نجاح بحث الماجستير بتقديم إضافة مفيدة للمعرفة التاريخية useful contribution.

أما بالنسبة للدكتوراة فاغلب الجامعات تشترط حصول الطالب على الماجستير وعلى البكالوريوس قبلها من مؤسسة تعليمية معترف بها وان يكون موضوع التخصص هنا يناسب موضوع التخصص في درجة الدكتوراة التي يريد التسجيل لها ، بعض الجامعات تعقد امتحان قدرات الطلاب في مجال التخصص لتحديد مدى أهلية الطالب للدراسة في برنامج الدكتوراه(مثل جامعة اليرموك مثلاً) بينما تطلب بعض الجامعات من الطالب إبراز نسخة من بحث الماجستير قبل الموافقة على تسجيله إذا كان قد حصل على الماجستير من جامعة أخرى.

مدة الدراسة للدكتوراه تختلف قليلاً من جامعة لأخرى إلا أن الاتجاه السائد ما بين ٣- ٥ سنوات بعضها تضع الحد الأدنى سنتان دراسيتان(اليرموك) أو تسعه فصول دراسية متواصلة (كمبردج) برامج الدكتوراه عادة عن طريق البحث وان كانت بعض الجامعات تعقد امتحانات إضافية.

بحث الدكتوراه يتطلب أن يقدم إضافة حقيقية للمعرفة عن طريق الكشف عن معلومات جديدة أو ربط بين وقائع لم تكن مترابطة ربما وضع نظرية جديدة أو مراجعة آراء قديمة حول موضوع ما. لابد أن يؤخذ في الاعتبار الأبحاث السابقة حول الموضوع نفسه وان تظهر إسهاماته بشكل واضح بعض الجامعات تحدد كلمات بحث الدكتوراه بثمانين ألف كلمة كحد أقصى (كمبردج) دون الهوامش وقائمة المصادر.

أما اختيار موضوع البحث بالنسبة للماجستير والدكتوراه فيخضع أحياناً للوائح الجامعات التي تضع موجهات عامة منها مثلاً ارتباط موضوع البحث

بقضايا حيوية ويقدم خدمة ما للمجتمع ويساعد في تطوير أحد القطاعات ويكون له مردود ايجابي على النظام التعليمي والتربوي الوطني والقومي.

يتم إجراء البحث تحت إشراف احد الأساتذة المتخصصين في المجال الذي يختاره الطالب إلا أن الإشراف لايعني فرض لرؤية الأستاذ على الطالب بل أن مهمة المشرف مساعدة الطالب في تكوين وتوضيح رؤياه الخاصة ولهذا من الضروري أن يفصح الطالب منذ البداية للمشرف عن آرائه بالتحديد خاصة بالنسبة لطالب الدكتوراه فعليه أن يعتمد على نفسه ولا يتوقع من المشرف إلا التوجيه فهو الذي ينجز البحث ويتحمل مسؤوليته. من الأفضل للطالب أن يحدد مواعيد ثابتة لمقابلة المشرف وان يقدم له ما أنجزه كتابة ويتوقع من المشرف أن يقدم ملاحظاته حول ما يقدمه الطالب كتابه أيضاً.

ولكن المهم أن يبرز في البحث شخصية الطالب وقدراته وان يكون لديه الاستعداد لتحمل عمله فأي تقصير في البحث يعزى لعجز الطالب وليس المشرف ، فكثير ما نرى رسائل ضعيفة يطلب من الطالب إعادة تقديمها بعد إجراء إصلاحات عليها ولا يؤثر هذا على وضع المشرف أو ينعكس على مكانته الأكاديمية وتأهيله إذ من المعروف أن مسؤولية البحث تقع على عاتق الطالب في المقام الأول.

في بعض الجامعات يعتبر المشرف رئيساً للجنة مناقشة الطالب(أغلب الجامعات العربية) بينما نجد جامعة كمبردج يبعد المشرف نهائياً من عملية الامتحان.

يبدأ الإعداد للبحث عادة بقراءات عامة حول المجال الذي يقع فيه موضوع البحث حتى يكوّن الطالب فكرة عن الظروف والأحداث التي أثرت على موضوع البحث. بالنسبة لرسالة الماجستير يمكن للطالب أن يختار موضوعاً يعتمد على أصول تاريخية استخدمت من قبل ولا يتوقع أن يكشف عن معلومات جديدة ويمكن تقييم الرسالة على أساس ما أورده الطالب من رؤية أضافت للمعرفة التاريخية.

أما بحث الدكتوراه لابد أن يتوفر فيه عنصر الاصالة كشرط أساسي وان يكشف فيه الطالب عن معلومات جديدة، ربما كشف أثري، مخطوطة لم تدرس أو تحقق من قبل قام الطالب بتحقيقها ويعتبر الطالب ناجحاً إذا كانت إضافة للمعرفة مؤثرة **Significant**.

أحياناً قد يخضع اختيار موضوع البحث لرغبة ذاتية للطالب بمعنى أن يكون لديه ميل واستعداد للكتابة في مجال محدد وبالطبع ينظر الأستاذ المشرف في إمكانية تحقيق هذه الرغبة بالنسبة لقابلية الموضوع للبحث، واستعداد الطالب وتأهيله للولوج في هذا الباب، قد يكون للطالب ميل للكتابة عن عصر النهضة ولكن مستوى اللغات الأوروبية لديه لاتساعده في تنفيذ هذه الرغبة مثلاً، يستعين الطالب بأستاذه عادة لتحديد موضوع البحث بسبب خبرته في مجال التخصص، فالأستاذ أقدر على معرفة الخريطة البحثية وبالتالي يستطيع أن يوجه الطالب للمساهمة في ملْ ما بها من ثغرات.

ومن الأفضل أن يبدأ الطالب بتحديد زمني أي حقبة تاريخية محددة: التاريخ القديم- الوسيط- التاريخ الإسلامي الحديث والمعاصر، وعليه أن

يأخذ في الاعتبار أن لكل حقبة مصادرها وتحتاج لمهارات مختلفة فإذا اختار التاريخ القديم فيجب أن يكون مستعداً للسفر والتنقيب عن الآثار والمخلفات ودراسة المسكوكات وغيرها حتى يستطيع أن يجمع مادة تاريخية تصلح لكتابة رسالة جامعية.

دراسة التاريخ الوسيط تحتاج لمراجعة دور الأرشيف في بلدان مختلفة بسبب الكم الهائل من المخطوطات المحفوظة في دور الوثائق وهذا يتطلب معرفة وإجادة تامة باللغات التي كتبت بها تلك الأصول.

أما التاريخ الحديث فرغم أن أصوله متوفرة لكن تحتاج دراسته لمقدرة على التحليل والتفسير بسبب أن كثير من أحداث العالم لم تعد معزولة عن بعضها البعض ولقد أدى ازدياد ترابط الدول إلى أن أي واقعة تاريخية تجد لها تعديلات تترتب عليها نتائج تتعدى محيطها المحلي.

أما بالنسبة للتاريخ المعاصر فبعض المؤرخين يعتبره جزء من التاريخ الحديث وآخرون يوجهون بعدم الكتابة عن موضوعات معاصرة لم يمر عليها خمسون عاماً على الأقل وذلك لان أي واقعة تاريخية تحتاج لهذه الفترة لتتفاعل وتستقر نتائجها ولكن قبل هذا فان الأحداث تكون مضطربة غير مستقرة وقابلة للتعديل ويمكن أن تتغير لأنها لاتقوم على أسس ثابتة، وقد صور البعض هذه الحالة كمن ينظر لتمثال كلما ابتعد عنه وضحت معالمه بشكل أفضل أما إذا وقفت تحته مباشرة فقد لا تستطيع أن ترى إلا جزء منه، كما أن اغلب دور الأرشيف لاتفتح وثائقها للباحثين إلا بعد خمسين عاماً.

بعد أن يحدد الفترة الزمنية يمكن للطالب أن يأخذ موضوعا يقع في إطار هذه الحقبة ، قد يختار مثلاً احد الطلاب الدراسة في تاريخ السودان الحديث فخياراته تشمل: التركية - المهدية - الحكم الثنائي - مرحلة الاستقلال وما بعدها. إذا استقر الطالب على موضوع معين يقع ضمن إحدى هذه الحقب فعليه أن يتأكد أن هذا الموضوع لم يدرس من قبل أي من الجامعات الوطنية ولكنها تتقاضى عن الأبحاث التي تجري في الخارج. كثير من الجامعات تنشر أدلة بالرسائل الجامعية التي أجيزت.

فالطالب يمكنه أن يستعين بها ، لكن في بعض الأحيان قد يكون البحث في طور الإعداد وبالتالي لايظهر في الأدلة وتجد أن بعض المؤسسات العلمية تصدر نشرات بالأبحاث الجارية ، مثلاً المركز القومي للبحوث في الخرطوم يصدر مثل هذه النشرات ، وان كان يركز على الأبحاث العلمية بشكل عام. أن صدور نشرة مستخلصات للأبحاث الجارية في مجال التاريخ **Abstracts of current Research in History** قد تكون ذات قيمة حقيقية لطلاب الدراسات العليا إذ ستوفر لهم الجهد الذي عليهم أن يبذلوه من اجل التحقق بأنفسهم أحيانا من كل أقسام التاريخ عن الأبحاث المسجلة لديهم لرسائل الماجستير والدكتوراه.

ومن المهم أن يكون الموضوع محدداً حتى يمكن أن يقوم بدراسته بشكل تفصيلي عميق ويأتي البحث بالتالي عمودياً وليس أفقيا كما هو الحال إذا كان الموضوع عاماً يغطي فترة طويلة ، فقد تتوافر لديه مادة ضخمة وكل ما يستطيع إنجازه هو تقديم ملخص للموضوع ولا يعتبر ذو قيمة علمية حقيقية.

يمكن للطالب أن يحدد عنواناً للبحث بشكل مبدئي إذ أن هذا قابل للتبديل والتعديل لكن من المهم مراعاة أن يكون العنوان مطابقاً للمحتوى مما يعني ضرورة انتقاء الكلمات بدقة فعدم مطابقة العنوان للمحتوي قد تؤدي إلى رفض الرسالة بكاملها.

من الأفضل إلا يكون العنوان طويلاً ، في بعض الأحيان يضع الباحث جملة تفسيريه لعنوان قصير، المهم أن يتجنب الطالب وضع عنوان في صيغة سؤال استخدام الألفاظ تقيمية كأن يقول العهد الزاهر للسلطان... أو دراسة في الحكم المشئوم لهذا الزعيم وذاك وآلا يكون العنوان فضفاضاً مثلاً " ملامح من..." أضواء على...".

• • • • •

قد يتجه الطالب لاختيار موضوع لبحثه فيحدد مجاله في التاريخ السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الفكري. من المعلوم أن الكتابة التاريخية تركزت في المجال السياسي وكان المؤرخان البريطانيان فريمان وجون سيلي أول من شخصا هذه النزعة وأشارا إلى أن أي شيء خارج السياسة لايمت للتاريخ بصلة بل رفعا شعار" التاريخ هو علم السياسة في الماضي والسياسة هي تاريخ الحاضر".

غير أن هناك من تصدى لهذا الاتجاه مثل لورد اكتون الذي أعلن أن التاريخ هو سجل النشاط البشري ويرصد حركة الفكر في كافة المجالات ولهذا المفهوم هو علم الاقتصاد في الماضي وعلم الأديان في الماضي وعلم الاجتماع في الماضي وليس علم السياسة فحسب.

وقد رد المؤلف تريفليان Trevelyan(١٨٧٦- ١٩٦٢م) على نزعة فريمان وسيلي بإصدار كتاب التاريخ الاجتماعي للشعب الإنجليزي(ENGLISH SOCIAL HISTORY). تناول فيه كل ما يخص الشعب الإنجليزي عدا الجانب السياسي. رغم تزايد الاهتمام بالتاريخ خارج السياسة بسبب الرغبة في معرفة نواح متعددة من حياة المجتمعات البشرية تتعلق بنشاطاتهم الاقتصادية من زراعة وتجارة وما يستخدمونه من آلات وكيف يبنون منازلهم ويؤثثونها وشكل الأسرة وعلاقتها وطرق العبادة وعادات الزواج و معالجة الأمراض. إلا أن التاريخ السياسي ظل يحظى بالاهتمام لأنه يمثل للدول ذاكرتها التي تحفظ فيها سجل يوضح سماتها وعلاقتها بجيرانها ولهذا نجد اغلب مناهج التاريخ في المدارس والجامعات تركز على الجانب السياسي علما بأن التاريخ الاجتماعي والفكري هو الذي يساعد في فهم تكوين الأمة وتتبع مسار تطورها ويساعد الأجيال المتعاقبة في الترابط والانتماء لأمتهم.

غير أن التاريخ السياسي يتفوق على غيره بسبب خصائصه وطبيعته فنجد أن دراسة الأنظمة الحاكمة هي دراسة سياسية تتعلق بالأطر الفكرية لها وكيف تمارس مهامها وكيف تتحكم في علاقاتها مع الدول الأخرى وما هي الاتفاقيات التي عقدتها معها وما هي الحروب التي خاضتها ، أسبابها وما كسبته من ورائها.

ثـم أن التـاريخ الـسياسي يتنـاول سـير العظمـاء والقـادة ولهـذا يحظـى بشعبية كبيرة لرغبة الإنسان للتعرف على هؤلاء القادة في أدق تفاصيل حياتهم وما حققوه من إنجازات لبلدانهم، ولقـد وصـف أرسـطو الإنسان بأنـه حيـوان سياسي بطبعه لان له رغبة غريزية في المعرفة فقراءة الـصحف والاستماع إلى الإذاعة والتلفاز تلبي عنده الغريزة السياسية.

ولقد مهد قدماء المؤرخين الطريق بتركيـزهم على الكتابـة في التـاريخ السياسي فجاء المحدثون يتلمسون خطاهم وقد اتخـذوهم قـدوة كمـا جـذبوا لـه القراء فوجدوا فيه مجالاً لاستنباط العظة والعبرة والقيم التي تعينهم على فهم وقبول ما يواجههم من مشاكل في حياتهم، ولقد أدى هـذا التركيـز عـلى تـوفر كم هائل من المادة التاريخية في شكل كتـب ومقـالات في الـدوريات والـصحف وأبحاث مختلفة احتوتها رسـائل الماجستير والـدكتوراه فالطالـب إذن يجد أمامـه خبرات متراكمة ومعالجات مختلفة لشتى الجوانـب الـسياسية الأمـر الـذي يحفـزه لارتياد هذا المجال بدلا عن طرق باب جديد لايعـرف مـا يكتنفـه مـن مـصاعب فيختار بالتالي المجال المأمون ليحقق ما يبتغيه.

قد يجد الطالب نفسه أحيانا مدفوعاً للكتابة في التاريخ السياسي بسبب توفر الأصول التاريخية فكما يقال أن الـوثائق هي الـتي تحـدد للطالـب موضـوع البحث فالموضوع الذي لاتتوفر له وثائق وأصول تاريخية غير قابل للكتابة فيه. قد يجد الطالـب وثـائق وأصـول تاريخيـة مختلفـة حـول عـصر أو حقبـة معينـة ممـا يغريه بالكتابة حولها..، وطبيعي أن اغلب أحداث هذه الحقبة قد تكون سياسية

أو أنها تدور حول زعيم أو قائد بالرغم مما حققه هؤلاء فقد ثبت أن ماكتب عن شخصيات سياسية ابتداء من الاسكندر المقدوني ويوليوس قيصر واغسطس وقسطنطين ونابليون وبسمارك وموسليني وهتلر، وهم حفنة ضئيلة من الأفراد تفوق أضعاف مضاعفة ما كتب عن شخصيات غير سياسية من مفكرين وعلماء وأدباء مما أوجد خللا كبيراً في الكتابة التاريخية وان كان التبرير لهذا هو أن هؤلاء الزعماء والقادة اثروا على عصر بأكمله على نطاق العالم بأسره فلم تكن سياستهم أو خططهم قاصره على بلدانهم بل تعدتها إلى مناطق أخرى.

أما بالنسبة لتاريخ الإسلام فنجد أن اغلب ما كتب عن الجانب السياسي ابتداء من العصر النبوي والخلافة الراشدة والدولة الأموية والعباسية والدويلات المستقلة والمغرب والأندلس، وإذا لاحظنا مقررات التاريخ الإسلامي في كل الجامعات العربية لا نجدها تخرج من هذه التقسيمات ربما لأن التاريخ الإسلامي في كل الجامعات العربية لا نجدها تخرج عن هذه التقسيمات ربما لأن التاريخ الإسلامي يجد دائماً شعبية بين القراء لارتباطه بالعقيدة والرغبة الغريزية للتعرف على جوانب من حياة الرسول ﷺ وصحبه، مهما كثرت الكتابات فإن القارىء يتلقفها بنهم، والذين وضعوا مناهج التاريخ الإسلامي التزموا التسلسل الزمني للأحداث على أساس أنه يساعد في فهم الوقائع إلا انه ليس هناك ما يمنع تركيب منهج للتاريخ الإسلامي على أساس موضوعي بمعنى تتبع ظاهرة و موضوع محدد عبر الحقب الزمنية ورصد تكوينه

وتطوره: السلطة السياسية مثلاً أو التجارة أو النشاط الدبلوماسي وبالتالي يمكن إضفاء قدر كبير من الحيوية على مناهج التاريخ الإسلامي.

إذن التاريخ السياسي باتفاق اغلب المؤرخين يستحق ما احتله من مكانة متميزة ولكن رغم هذا يوجه البعض انتقادات مريرة للتاريخ السياسي، منها أن المؤرخين ركزوا على تاريخ السلطة والحكام وكتبوا التاريخ حماية لهم وفقاً لأهوائهم وإغراضهم ولهذا لايمكن للمؤرخ أن يكون محايداً لان السلطة تملك وسائل لإرهابهم وجعله يكتب ما تريده أما بشكل مباشر أو غير مباشر بسيطرتها على أوجه النشاط في الدولة.

والبعض يهاجم المؤرخين لتجاهلهم لدور المواطن العادي في أحداث التاريخ رغم انه يمثل أحيانا المحرك الأول إذا كان جندياً في القوة العسكرية أو عاملاً أو مزارعاً ولهذا نجد من ينادي بضرورة التركيز على دور الفرد وتأتي بالتالي كتابة التاريخ السياسي مرتبطة بالشعب وأحيانا كجزء من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي....، ومن الانتقادات التي وجهت للتاريخ السياسي انه ساعد بعض الحكام المتسلطين للبقاء في السلطة خاصة خلال القرن التاسع عشر فاغلب هؤلاء الحكام فرضوا أنفسهم على الشعوب عن طريق القوة وفرضوا على المؤرخين الكتابة عنهم عن طريق الضغط أو الإغراء وان كانت هناك طائفة قاومت مثل هذه الوسائل وظلت تكتب التاريخ بمنهجه العلمي وتصحيح ما يرد فيه من شوائب مغرضة لحقت به.

أحيانا يواجه مؤرخو التاريخ السياسي بأنهم لم يسعوا لتطوير الكتابة فيه فظلت جامدة تفتقر للحيوية وجاء اغلبها تكرر أحداث ووقائع مما أدى إلى نفور

القراء منه وترددت مقولة أن التاريخ لايعيد نفسه لكن المؤرخين هم الذين يكررون بعضهم بعضا ذلك لأنهم لايحاولون التقصي والبحث عن الأسباب والعلل وراء ظاهرة معينة و يتلقفون أراء موروثة دون التمعن في مغزاها وكرروا أحكاما بلا روية فتحولت بعض الأخطاء إلى حقائق ، ولم يحاول المؤرخون تطوير أساليب الكتابة وموضوعاتها فنجد الاف الكتب تصدر في موضوعات قتلت بحثاً ولا يأتي فيها المؤلف بشيء جديد بل نجدها عبارة عن تكرار لمعلومات معروفة سلفاً وان ظهرت محاولات متواضعة للتفسير هنا وهناك.

هناك أمثلة لبعض التواريخ التي اتخذها المؤرخون علامات فاصلة في التاريخ مثل ١٤٨٠م- ١٧٦٠م في بريطانيا ، فأحيانا يؤخذ الأول بأنه بداية لتاريخ بريطانيا الحديث رغم انه غير ثابت تماماً والربط بين ١٧٦٠ والثورة الصناعية الذي اخذ يردده المؤرخون استند على دراسة نشرها أحد الاقتصاديين عن استخدام البخار كطاقة لتحريك الآلات مما فسر بأنه ثورة في مجال الصناعة فاخذ المؤرخون يرددونها دون أن يستند على وقائع كافية وجاء آخرون كرروا هذا الاستنتاج دون تمعن.

انبثق عن التاريخ السياسي ما أصبح يعرف بالتاريخ الدبلوماسي عندما شرعت الدول في إقامة علاقات مع بعضها البعض ودخلت قضايا عقدت هذه العلاقات مثل الحرب والسلام والتطور الاقتصادي وزيادة سرعة الاتصالات والسفر.

ولقد أدى قيام الحربين العالميتين إلى دفع الكتابة في التاريخ الدبلوماسي الذي لم يعرف قبل القرن التاسع عشر ذلك لتنامي الإحساس بان القصور في

مجال العلاقات والاتصالات بين الدول تسبب في كوارث ومآسي لاتحصى خاص ما كان يعرف بالدبلوماسية السرية. التي أدت إلى تدهور العلاقات بين الدول وتوجسها وخوفاً على آمنها بسبب ما يخطط في الخفاء ضدها ، ولهذا نجد أن أول ميثاق تتفق عليه دول العالم(ميثاق عصبة الأمم) ، جاء بين بنوده مقاومة الدبلوماسية السرية وخطرها.

بالرغم من أن التاريخ الدبلوماسي كان ينظر له كجزء من التاريخ السياسي لكن توفر مصادر جديدة له متمثلة في المعاهدات المتبادلة بين الدول والتقارير المختلفة وانبثاق منظمات دولية أخذت تصدر كميات هائلة من المنشورات والدوريات تحفظ في دور الأرشيف ، أوجدت مادة غزيرة لمؤرخي التاريخ الدبلوماسي.

ثم بدأ التاريخ الدولي يتخذ مكانة مهمة بين الدراسات التاريخية بسبب التطور الذي حدث في وسائل الاتصال مما أدى إلى ترابط غير مسبوق تلاشت على أثره الحدود والفواصل مهما كانت ضخامتها. تراجعت فكرة القومية مع ما تحمله من سمات ضيقة لتحل مكانها اتجاهات للاندماج والتوحيد فظهرت الاتحادات المختلفة الأوربية والآسيوية ومنظمات مثل منظمة العالم الإسلامي ومنظمة الوحدة الإفريقية وجامعة الدول العربية وأولها بالطبع كانت هيئة الأمم المتحدة ، التي أعقبت عصبة الأمم المتحدة ، تأثرت الكتابة التاريخية بهذه التطورات فلم تعد محلية قاصرة على دول أو قومية بل أصبح التاريخ دولياً ، وبالرغم من المساندة التي وجدتها كتابة التاريخ العالمي إلا أن التاريخ القومي

مايزال يحتل قلب هذه الكتابات إذ أن أساس التاريخ ينبع من التاريخ القومي حيث توجد الأصول المختلفة التي يكتب منها ويتابع قيام الدول وتطورها ونمو حضاراتها وهو بالتالي لا يتناقض مع التاريخ الدولي. إلا أن البعض يعتقد أن التاريخ القومي غذى النزعة العنصرية وبالتالي تسبب في المآسي التي شهدتها البشرية في نواح مختلفة من العالم. هذا ليس عيباً في القومية بل أن السياسيين تبنوا هذه النزعات. إضافة إلى هذا فإن أساس الكتابة التاريخية هي الأصول التي يستمد منها المؤرخ معلوماته ومن المعروف أن هذه الأصول تحفظ في دور الأرشيف الخاصة بالدولة فهي تنظمها وتعمل على صيانتها حتى لا تتعرض للتلف.

إذاً التاريخ السياسي يمكن أن يكون الوعاء الذي تصب فيه كل الكتابات في المجالات الأخرى أو تتفرع منه ولهذا لابد من الاهتمام به وايلائه العناية الكاملة خاصة أن المؤرخين أخذوا يختطون نمطاً جديداً فيما يختص بتحليل الوقائع والأحداث بدلاً عن السرد الرومانسي الذي كان سائداً، فالتاريخ يمثل رابطة مهمة للشعب بالدولة وينمي انتماء الفرد إضافة إلى أن اغلب مشاكل الإنسان في هذا الكون سياسية أو مرتبطة بالسياسية. فالاقتصاد القومي ينبع من النشاط والفكر السياسي، وأمن المجتمع ونجاحه مرتبط بواقع الدولة السياسي وهكذا.

الفصل الحادي عشر
تقنية الكتابة التاريخية

الفصل الحادي عشر
تقنيات الكتابة التاريخية

يساعد المشرف الطالب في وضع مشروع تفصيلي " خطة البحث" وغالباً ما تكون هذه الخطة مبدئية أي قابلة للتعديل حسب سير البحث ، فربما يضع الطالب في البداية خطة لبحثه حسب إطلاعه في المرحلة الأولية على الوثائق والمصادر ولكن بعد مراجعته للأصول بشكل مكثف قد يرى أن المادة المتوفرة على درجة من الضخامة تستدعي التركيز على جانب واحد حتى يأتي البحث عميقاً فيجري التعديل اللازم في الخطة أو ربما يجد أن المعلومات التي حملتها الأصول لا توفر أساس جيد لكتابة فصل ما فيتم من حذفه وهكذا ، فلا بد من مراعاة التوازن بين الفصول فلا نجد بعضها يقع في ٢٠ صفحة وأخر في ٧٠ صفحة مثلاً ، يقسم بحث الماجستير إلى أبواب أو فصول وان كان من الشائع استخدام الأبواب في بحث الدكتوراه وينقسم بحث الدكتوراه إلى بابين أو أكثر وتنقسم هذه بدورها إلى فصول ، هناك أيضا المقدمة والتمهيد والخاتمة ، أما بالنسبة للمقدمة فهي تحوي نقاط محددة : سبب اختيار موضوع البحث ، الهدف من كتابته أو المشكلة التي يرى الطالب أنه يحاول أن يجد لها حلاً "ليس المقصود المشاكل التي صادفت الطالب كما يعتقد الكثيرون" ثم المنهج الذي

اتبعه وهو المنهج الوثائقي لان التاريخ يستمد مادته من الوثائق والمنهج الاستردادي إذ أن المؤرخ يحاول أن يسترد الوقائع ويعيد تركيبها ذهنياً.

تتضمن المقدمة استعراضاً للمؤلفات السابقة حول موضوع البحث وقيمتها بالنسبة للطالب ومدى استفادته منها ثم يستعرض أيضا مصادر الدراسة ويبين أهميتها.

ثم يقدم الطالب فصول بحثه موجزاً ما يحتويه كل فصل وغالبا ما يختم المقدمة بتوجيه الشكر للذين أعانوه في إنجاز البحث.

أما التمهيد فهو مدخل لموضوع البحث أي يتناول خلفية تساعد القارىء في فهم الموضوع فلا يجب الإطالة في التمهيد فهو يتناول ١٠-٢٠ عاماً السابقة لفترة البحث وليس من المستحب أن يبدأ التمهيد لبحث عن الثورة الفرنسية بغزو القبائل البربرية لغرب أوروبا مثلا من الأفضل إلا يتعدى التمهيد في رسالة الماجستير ١٠ صفحات ويمكن أن يقع في ٢٠ صفحة بالنسبة للدكتوراه، ولا يكتب التمهيد إلا بعد الانتهاء من البحث حتى يكون الطالب على دراية كاملة بما سوف يمهد له.

قد يتضمن التمهيد شرح المصطلحات الواردة في البحث وتعريف بها أو تحديد منطقة جغرافية يجري فيها البحث: بحث عن العلاقات السودانية الإثيوبية، فلا بد من شرح الموقع الجغرافي على أساس انه عنصر مهم في مثل هذا البحث وكذلك التركيبية السكانية والموارد الاقتصادية.

أما الخاتمة فتتضمن ما توصل إليه الطالب من نتائج، فإذا كان البحث لدرجة الماجستير قد يعرض الطالب حالة معروفة سابقاً لكن بوجهة نظر جديدة مما يشكل مساهمة مقدّرة في المعرفة التاريخية، أما بالنسبة للدكتوراة فلابد أن تتضمن الخاتمة ملخصاً للمعلومات الجديدة التي توصل إليها الطالب ولم تنشر من قبل. لأن هذه هي التي تشكل القيمة الحقيقية للبحث. قد يضع الطالب ملاحق للبحث تشمل نسخ لبعض الوثائق التي استخدمها في البحث أو خرائط أو جداول وفي الختام يقدم قائمة المصادر والمراجع.

تعتبر هذه المرحلة الأولى في إعداد البحث حيث يبدأ الطالب بتجهيز "دوسية" أو بطاقات سميكة وهي أكثر شيوعاً بسبب إمكانية تحريكها وإضافة بطاقات جديدة بشكل مستمر كلما وجد الطالب معلومة كانت غائبة عنه إلا أن صغر حجمها يجعلها عرضة للضياع وبالتالي تحتاج لحرص خاص ولا بد من وضع أرقام متسلسلة على البطاقات حتى يمكن اكتشاف فقدان أي منها. أما الدوسية فهي عملياً أكثر إذا وضعت بداخلها أوراق متحركة مثبتة بمشبك حتى يمكن إضافة أوراق أخرى أثناء إعداد البحث وتتميز بأنها سهلة الحمل إذ أن الطالب في هذه المرحلة لابد أن ينتقل بشكل مستمر بين دور الأرشيف والمكتبات ومراكز البحث ومن الأفضل أن تكون كل أوراقه بحوزته. يخصص الطالب في البداية عدة أوراق داخل الدوسيه لكل فصل وفيما بعد عندما يزيد حجم المادة سيخصص دوسيه لكل فصل تقريباً.

نوع المصادر التي يستخدمها الطالب تعتمد على موضوع البحث الذي اختاره فإذا أراد أن يكتب في التاريخ القديم فقد يحتاج لزيارة مواقع أثرية أو المتحف. أما إذا كان موضوعه خاص بالتاريخ الإسلامي أو التاريخ الحديث فغالباً ما يتجه للمكتبات ودور الأرشيف.

في السودان مثلاً توجد دار الوثائق القومية وهي تضم كل الوثائق الخاصة بتاريخ السودان من تقارير رسمية ومذكرات...الخ. كما توجد بها مكتبة تحوي كل ما صدر في السودان تقريباً. فهي تتمتع بحق الإيداع القانوني وهناك ايضا مكتبة السودان التابعة لجامعة الخرطوم وبسبب عدم وجود مكتبة وطنية فهي تقوم مقام هذه وتتمتع ايضا بحق الإيداع القانوني وتحتفظ بنسخ من الرسائل الجامعية التي منحتها الجامعة منذ بداية تأسيس الدراسات العليا بها ، ولقد أعدت المكتبة فهارس بالرسائل الجامعية مرتبة حسب أسماء المؤلفين إضافة إلى فهارس عامة بالموضوعات التي يمكن أن يستعين بها الطالب لحصر كل ما كتب عن موضوع بحثه. هناك ايضا البيليوغرافيات التي صدرت عن الدراسات السودانية منها :

1-Hill,R, A Bibliography of the Anglo- Egyptian Sudan up to 1938.
2-Nasri, A,A Bibliography of the Sudan up to 1958.

ثم تابعت مجلة السودان في رسائل ومدونات **Sudan Notes Records** نشر بيليوغرافيات عامة ومتخصصة مثلاً نجد بيبلوغرافيا المهدية أو الحكم الثنائي كما قامت بعض الأجهزة المتخصصة بنشر بيلوغرافيا عن مجالات بحثها : المجلس القومي

للبحوث نشر بيليو غرافيا عن التعليم ...الخ. فعلى الطالب الاستعانة بهذه حتى يكون إلمامه بكل ما كتب حول موضوع بحثه دقيقاً لأقصى درجة ممكنة. لعل أهم فائدة من الرسائل الجامعية أنها تحوي مصادر استعان بها كاتب الرسالة فالطالب سيتعرف على هذه ولو لم يستفيد من الرسالة بشكل مباشر، ومن المفيد دائماً للطالب أن يطلع على بعض الأبحاث العلمية التي تناولت موضوعات ذات صلة ببحثه أو على نمطه فإذا أراد مثلاً أن يكتب عن معركة" شيكان" لابد له من الإلمام بظروف قيام الثورة المهدية وتطورها ومسارها ورد الفعل الرسمي عليها والعوامل التي أثرت فيها حتى يستطيع أن يتناول موضوع البحث بشكل دقيق فهو يتعرف على الكل من اجل الجزء.

يمكن أيضاً أن يطلع على رسائل جامعية تناولت موضوعاً على نمط الموضوع الذي اختاره، فإذا أراد أن يكتب عن تاريخ دارفور السياسي قد يجد رسالة عن تاريخ كردفان السياسي مثلاً فيستفيد منها من حيث المصادر والتبويب والتحليل.

قد يكون من المفيد للطالب أن يتعرف على المواقع التي وقعت فيها أحداث لها صلة ببحثه حتى يحصل على انطباع عن طبيعة الموقع، فالذي يعد رسالة عن موقعه كرري لابد له من زيارة الموقع وبحث عن استيلاء المهدية على الخرطوم يتطلب زيارة المنطقة الجنوبية الغربية من أم درمان حيث وقع الهجوم الختامي.

وهناك دور أرشيف في بريطانيا تحتفظ بوثائق عن تاريخ السودان منها دار الأرشيف العام **public Records Office** وهناك أيضاً وثائق خاصة بالسودان في مكتبة جامعة درهام فإذا توفرت للطالب إمكانيات يمكنه الحصول

على نسخ من بعض هذه إذا كانت مفيدة لبحثه ، ولقد اهتم بعض المؤرخين بنشر مجموعات من الوثائق خاصة في التاريخ الحديث أو التاريخ الإسلامي فيمكن أن يستخدم ما جاء فيها من نصوص ومعاهدات.

يسأل بعض الطلاب أحياناً عن الطريقة المناسبة لجمع المادة : هل هي نقل للمعلومات بشكل كامل من المرجع أم تلخيصها؟ البعض يفضل أسلوب النقل الحرفي من المصدر إلى أوراقه لأنه يريد في هذه المرحلة أن يضمن وجود المعلومة بشكل سليم إلا أن هذا الأسلوب قد يضر بالبحث فبعد عام من بداية العمل قد ينسى الطالب أنه قام بنقل هذه المعلومات حرفيا ويعتقد انه صاغها بأسلوبه فيقع في خطأ فادح عندما ينسبها لنفسه وهي في الواقع منقولة حرفياً.

من الأفضل إذا أن يقوم الطالب بتلخيص للمعلومة بأسلوبه منذ البداية وهذه الطريقة تساعد ايضا في توفير الوقت.

أما الاقتباس الحرفي فيمكن أن يفيد البحث من حيث دعمه بآراء وأفكار جاءت بلغة صاحبها ولكن على الطالب أن يلتزم بشروط الاقتباس : -

أولاً : أن يكون كاتب النص شخصية لها وزنها ومكانتها العلمية ومشهود لها بالحكمة وسعة الأفق. فإيراد رأيه الحرفي يمثل إضافة حقيقية للبحث. فلا يقتبس الطالب من رسالة كتبها باحث مبتدىء مثلاً.

ثانياً : ومن الضروري أيضاً نقل النص بحذافيره ومراعاة الدقة الكاملة في كتابته حتى لاتسقط كلمة منه حتى ولو كانت أخطاء إملائية أو مطبعية فتترك

كما هي مع الإشارة في الهامش لهذه الأخطاء وتصحيحها بواسطة الطالب. أما إذا حذف الطالب جملة من النص أو كلمات فلابد من وضع ثلاث نقاط داخل قوسين(...) للدلالة على الحذف. أما إذا حذف أكثر من هذه فعليه وضع سطر متقطع(.....).

ثالثاً: لابد من وضع النص المقتبس حرفياً بين "قوسين صغيرين" مع توثيق في الهامش بذكر المؤلف وعنوان الكتاب والناشر ومكان النشر وتاريخ النشر والصفحة.

رابعاً: يشترط أيضاً إلا يزيد النص المقتبس عن ستة أسطر.

أسلوب جمع المادة العلمية هذا يطبق في كل الأصول سواء كانت مصادر أو مراجع، مقالات في دوريات، أحاديث إذاعية أو تلفزيونية، أو روايات شفوية أو مقالات.

من المهم أن تكون خطة البحث دائماً مع الطالب عند ذهابه لدار الأرشيف أو المكتبة حتى يتمكن من وضع رقم الفصل في أعلى الصفحة عند تسجيل المعلومة، فقد يجد معلومات تخص كل فصول البحث في مرجع واحد فعليه أن يسجلها في موقعها المناسب ولا يعود للمرجع مرة أخرى.

بعد الانتهاء من جمع المادة يقوم الطالب بترتيب البطاقات أو الأوراق الخاصة بكل فصل على حده ثم يعرضها على المشرف ويناقشها معه، والتأكد من علم وجود ثغرات أو عدم توازن بين الفصول وأنها على نفس الدرجة من العمق في محتواها فإذا ظهر أن هناك ضعف في احد الفصول فلابد من تلافيه بمزيد من البحث والاستقصاء وإذا عجز الطالب فيمكن سحبه أو إجراء تعديل

في الخطة وهي مبدئية و يمكن دائماً إضافة وحذف فصول حسب ما يستجد من معلومات يحصل عليها الطالب، وقضية توازن الفصول هي على درجة من الأهمية وعدم الالتزام بها يكشف عن خلل في خطة البحث.

بعد هذا يبدأ الطالب في الصياغة الأولية للبحث واهم ما يراعيه إظهار شخصيته وإبراز أسلوبه فيقدم المعلومات من وجهة نظر جديدة ولا يلتزم بأسلوب معين جاء في بعض المصادر والمراجع التي استخدمها.

قد يضع الباحث في مقدمة الفصل ملخصاً عاماً لما فيه من موضوعات فرعية، ثم يتناول كل من هذه ويشرحها بالتفصيل بأسلوب مبسط وواضح مبتعداً عن الألفاظ المعقدة والمصطنعة وكي لايصبح الطالب ناقلاً فقط عليه أن يسعى لتفسير وتعليل الأحداث والوقائع بشكل منطقي ولا يشتط في هذا حتى لايأتي بتفسيرات تجنح نحو الخيال.

ولابد من عرض كل فصل من فصول البحث على المشرف في هذه المرحلة لإبداء وجهة نظره وما يراه من تعديلات حتى يتداركها الطالب في المرحلة الأولية. بعد إجراء ما يلزم من ملاحظات وتعديلات يشرع الطالب في تبيض البحث وإعداده في شكله النهائي تمهيداً لطباعته ومن الأفضل الاستعانة بأحد المختصين في اللغة العربية لمراجعة الجانب النحوي في البحث إذ أن البحث سيكون وثيقة لها أهميتها ومكانتها وتودع نسخة منه في مكتبات الجامعات فلابد أن تكون بلغة صحيحة خالية بقدر الامكان من الأخطاء.

أهم جانب في منهج البحث التاريخي توثيق المادة العلمية أي إظهار واثبات الأصول التي استقى منها الطالب معلوماته وهذا هو الفرق بين البحث التاريخي والرواية فيمكن الحكم على مقالة أو بحث بمجرد النظر إلى كيفية توثيقه أو عدم توثيقه، وتتم عملية التوثيق هذه بالنسبة لكل أجزاء البحث، نجد بعض المؤرخين لايحبذها في التمهيد والخاتمة. ثم أن التوثيق يعني الاعتراف بفضل من كتبوا حول الموضوع واستفاد منهم الباحث، ويستخدم الهامش لوضع الإشارات لهذه الأعمال ويستخدم لأغراض أخرى منها:

١. الإحالة إلى بعض المراجع الإضافية للاستزادة حول أمر فرعي ورد في المتن.
٢. الإحالة إلى جزء آخر من البحث ورد في معالجة تفصيلية لموضوع ما Cross reference.
٣. تعريف بالشخصيات والأماكن التي وردت في المتن إذ أن إيراد مثل هذه المعلومات في البحث يقطع سياق العرض.
٤. تعريف بالأحداث التي جاء ذكرها في المتن بشكل مقتضب فإذا رأى الطالب شرحها بالتفصيل لفائدة القارىء فيمكن أن يستخدم الهامش لهذا العرض.
٥. إيراد رأي معارض أو اقل وجاهة لما ورد في البحث وبيان مواطن الضعف فيه.
٦. وضع ترجمة لنص ورد في الدراسة بغير لغة البحث.

من المهم أن تكون الهوامش واضحة وعلى درجة عالية من الدقة إذ أن هدفها الأساسي إمكانية الرجوع إليها.

ومن المهم عدم المغالاة في وضع الهوامش فهناك بعض الباحثين يضع هامش بعد كل ثلاث كلمات ظناً أن هذا يدل على سعة إطلاعه وتبحره في مجال بحثه ولكن هذه الهوامش قد تكون لحقائق بديهية وليس ذات قيمة علمية فلا تخدم غرضاً. المهم التنوع في هذه الهوامش واستخلاص معلومات وأراء جديدة من الأصول ولفت النظر إليها فإذا لم تكن دقيقة واضحة فلن تخدم غرضاً.

هنالك ثلاث طرق لوضع الهوامش وهي :-

١) الطريقة المثلى وضعها في أسفل الصفحة بعد وضع خط أفقي بينها وبين المتن على أن تطبع بحرف أصغر ومساحة واحدة بين السطور بدلاً من مساحتين كما في المتن. يضع الطالب رقماً في المتن ويقابله نفس الرقم في الهامش يمكن أن تكون أرقام كل صفحة مستقلة أو تكون متسلسلة بالنسبة للفصل بكامله ، وميزة هذه الطريقة أنها تساعد القارىء في تتبع التوثيق فلا يضطر للبحث في نهاية الفصل أو في نهاية الرسالة عن المصدر الأمر الذي يقطع عليه سياق المتابعة. إلا أن المشكلة الأساسية هنا تتعلق بصعوبة إضافة هامش إذ يقتضي هنا مراجعة كل الأرقام ثم هناك صعوبة بالطباعة فإذا لم يكن الطالب حريصاً على مراجعة طباعة الهامش في أسفل الصفحة فان الكثير من الخلط قد يحدث بها وهذا ما دفع البعض إلى اللجوء إلى الطريقة الثانية .

٢) الطريقة الثانية وهي الأيسر يقوم الباحث بوضع الهوامش في نهاية كل فصل ويضطر القارىء إلى الانتقال بشكل مستمر مابين الفصل وهوامشه.

٣) أما الطريقة الثالثة فهي وضع الهوامش في نهاية البحث على أن توضع هوامش كل فصل على حده. يمكن ترقيم الهوامش في الحالتين الأخيرتين بشكل متسلسل أو مستقل، وهذه الطريقة الأخيرة نادراً ما تستخدم في أبحاث الدرجات العلمية وان كانت سائدة في المراجع.

- القواعد العامة لتسجيل الإشارات للمصادر في الهامش

١) القرآن الكريم: يكتب اسم السورة ورقم الآية: سورة الملك آية رقم ٢.

٢) الكتب السماوية الأخرى: الترجمة، والطبعة.

٣) المصادر: إذا كان المؤلف معروف بلقبه فيمكن أن يكتب اسم اللقب أولاً وبعده فاصلة، الطبري أبو جعفر، محمد بن جرير.

ولقد رأى بعض المؤرخين كتابة أسماء المؤلفين العرب بعد القرن الثامن عشر كما وردت في صفحة الغلاف أي بدون استخدام ألقاب إذ أن من الصعب معرفة لقب شخص مثل محمد احمد عمر خاصة أن استخدام أسماء الأسر غير شائع في الثقافة العربية بالشكل المستخدم في أوروبا. يعقب اسم المؤلف عنوان الكتاب وتحته خط ورقم الجزء أن وجد وبعده نقطة، وإذا كان العنوان طويل يمكن اختصاره إذا كان معروفاً بالاسم المختصر مثلاً" كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" يمكن الإشارة إليه بكشف الظنون. ثم الطبعة وبعدها نقطة ثم بيانات النشر وتشمل مكان النشر وبعدها نقطتان: الناشر أو الطابع، تاريخ النشر. إذا لم يذكر تاريخ النشر أو الناشر يمكن كتابة" دون تاريخ" مكان النشر: بدون ثم التاريخ الهجري والميلادي أن وجد وآلا ما

هو موجود في الكتاب قد نجد اختلافات طفيفة أحياناً ، مثلاً وضع بيانات النشر بين قوسين كبيرين إلا أن المهم التزام الطالب بأسلوب واحد في كل البحث.

١) اسم كاتب الوثيقة : موضوعها ، رقم الدفتر أو الملف ، رقم الوثيقة ، مكان وجودها.

٢) في حالة المؤلف جهة رسمية : اسم الجهة الرسمية ، عنوان التقرير أو الوثيقة ، بيانات النشر.

٣) مخطوطات : اسم كاتب المخطوطة ، عنوانها ، مكان وجودها ، إذا كانت مصنفه في مكتبة بياناتها ، أما إذا كانت لدى شخص اسم مالكها ، هيئة المخطوط : أصلية أم صورة ، عدد الصفحات.

٤) في حالة مخطوطة مجهولة المؤلف : مثلاً مجهول ، الطواف حول البحر الأرتيري ، مكان وجودها.

٥) المسكوكات إذا قراها الطالب بنفسه : رقم المسكوكة ، مكان وجودها ، التاريخ(أن وجد) ، والمادة التي صنعت منها. أما إذا اخذ المعلومة عن المسكوكة من مرجع فهو يوثق لها كالتالي : رقم المسكوكة ، التاريخ ، المرجع ، بيانات النشر.

٦) الآثار : إذا عاينها الطالب بنفسه يمكن أن يصورها ويلحقها بالبحث أما إذا استخدم احد المراجع فهو يوثق له كمرجع عادي.

٧) المعاجم: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، عدد الأجزاء، الطبعة، معلومات النشر.

مثلاً الفيروز أبادي، بحر الدين، القاموس المحيط، ٤أجزاء، ط٤، مصر، مطبعة دار المأمون ١٣٥٧/١٩٣٨.

٨) دوائر المعارف: اسم كاتب المقالة (إذا وجد)"عنوان المقالة" اسم الموسوعة.

٩) الرسائل الجامعية: اسم المؤلف، عنوان الرسالة، ماجستير أو دكتوراه، الجامعة المانحة، منشورة أم غير منشورة، التاريخ.

١٠) المراجع: في حالة مؤلف واحد: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، الجزء، الطبعة، معلومات النشر.

مثلاً حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٠م.

في حالة مؤلفين اثنين: محمد أنيس والسيد رجب، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة، القاهرة ١٩٥٣م.

في حالة أكثر من اثنين نذكر اسم الأول وبعده(وآخرون) محمد فؤاد شكري، وآخرون، وثائق من التاريخ الحديث، الكتاب الجامعي، الإسكندرية ١٩٥٤م.

في حالة كتاب مشهور بعنوانه: رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر، بيروت ١٩١٧/١٣٧٦.

في حالة كتاب محقق: اسم المؤلف، عنوان الكتاب، اسم المحقق، الجزء، الطبعة، الناشر، مكان النشر، تاريخ النشر.

نعوم شقير، تاريخ السودان، حققه محمد إبراهيم أبو سليم.

في حالة كتاب مترجم: اسم الكتاب بلغته الأصلية

Mohammed Omar Behir, The Southern Sudan- Back ground to conflict.

ترجمة هنري رياض، دار جامعة الخرطوم للتأليف والنشر، الخرطوم(بدون تاريخ).

اسم كاتب المقال، "عنوان المقال" اسم المجلة، رقم العدد، الناشر، التاريخ.

اسم كاتب المقال، "عنوان المقال" اسم الصحيفة، تاريخ الإصدار، الرقم المتسلسل، رقم الصفحة والعمود.

إذا استخدم الطالب مرجعاً أو مصدراً مصوراً في مصغرات فيلمية فيستخدم طريقة توثيق المرجع مع إضافة مصغر فيلمي.

إشارة لها"مقابلة شخصية" مع اسم الشخص ومركزه ومكان المقابلة وتاريخها.

إشارة إلى صاحب الحديث ، اسم البرنامج ، تاريخ إذاعته ، ورقم الشريط إذا توفر والجهة التي أذاعت الحديث.

اسم العائلة ثم الاسم الشخصي و مختصراته ، تاريخ النشر.

Hill, R, Egypt in the Sudan, (London, oxford, 1948)

١) في حالة تكرار الإشارة بلا فاصل فيستخدم مصطلح نفس المصدر أو نفس المرجع مع إضافة الصفحة إذا كانت المعلومة من صفحة جديدة.

٢) في حالة تكرار الإشارة لكن مع وجود فاصل ففي هذه الحالة لابد من ذكر اسم المؤلف أولاً ثم إضافة مصدر سابق أو أحيانا ع.س(عمل سابق).

لكن يشترط أن يكون هناك مصدر واحد فقط للمؤلف في البحث إذا كان هناك أكثر من مصدر واحد فاستخدام مصدر سابق تصبح غير مناسبة ولابد من ذكر اسم المصدر المستخدم مع اسم المؤلف كلما ترددت إشارة له.

في حالة المصادر الإنجليزية هناك اختصارات بمعنى نفس المصدر والمصدر السابق ، فبالنسبة للحالة الأولى نضع **ibid** وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية **ibidem** وتعني نفس المصدر أما المصدر السابق فستخدم كلمة **op.cit** وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية **opere citat**.

يضع الطالب ملاحق البحث وهي عبارة عن بعض الوثائق التي استخدمها في البحث وأراد إلحاقها في شكلها الكامل مثلاً اتفاقية، خطابات متبادلة أو تقرير رسمي.

بعد الملاحق تأتي قائمة المصادر والمراجع.

وهي القائمة التي تأتي في نهاية البحث تحت مصادر ومراجع البحث وهي لاتوضع عشوائياً بل حسب طريقة متفق عليها بين المؤرخين، فهي تأتي كالتالي: -

- القرآن الكريم
- الكتب السماوية

أولاً: الوثائق الرسمية.

ثانياً: المصادر العربية.

أولاً: الرسائل الجامعية.

ثانياً: المراجع العربية.

ثالثاً: المراجع المعربة.

رابعاً: المراجع الأجنبية.

خامساً: الدوريات.

سادساً: دوائر المعارف.

سابعاً: الصحف.

ثامناً: المقابلات الشخصية.

١. إبراهيم علي طرخان، مدخل إلى علم التاريخ، الرياض، د.ث

٢. أسد رستم، مصطلح التاريخ ،بيروت، ١٩٣٩.

٣. حسن عثمان، منهج البحث التاريخي، القاهرة، ١٩٦٤.

٤. السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية، ببيروت، ١٩٨٢.

٥. سيد الناصري، فن كتابة التاريخ وطرق البحث فيه، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٢.

٦. صلاح حسن العارور، مناهج البحث التاريخي، غزة، د.ث.

٧. قاسم عبده قاسم، الرؤية الحضارية للتاريخ قراءة في التراث التاريخي العربي، دار المعارف، القاهرة، د.ث.

٨. عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، تاريخ التاريخ، الدار السودانية، الخرطوم للكتب، ١٩٩٩.

٩. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، المدخل إلى علم التاريخ، الرياض، ١٤٠٥/١٩٨٤.

١٠. محمد بيومي مهران، التاريخ والتاريخ دراسة ماهية التاريخ وكتابته مذاهب تفسيره، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٩٢.

١١.مصطفى العبادي، محاضرات في مناهج الفكر التاريخي، مكتبة كريرية أخوان بيروت، ١٩٨٣.

١. لوبون، جوستاف، فلسفة التاريخ، ترجمة عادل زعيتر القاهرة ١٩٥٤.
٢. هرنشو، فح، علم التاريخ، تعليق وتعريب عبد الحميد العبادي.
٣. لانجلو، ش، وسينوبوس، المدخل للدراسات التاريخية، ترجمة عبد الرحمن الحموي ضمن كتاب النقد التاريخي القاهرة ١٩٦٣.
٤. يمولنيجودد، رج، فكرة التاريخ، ترجمة محمد بكير خليل القاهرة ١٩٦٠.